تفسير سورة الفتح

محمد أمين بن صدر الدين الشروانى

توفي سنة ١٠٣٦ ﻫ/ ١٦٢٦ م

عني بنشره مع التحقيق و التعليق

عمر جليك

في كلية الإلهيات بجامعة مرمره باستانبول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام علي رسوله محمد و علي آله و صحبه أجمعين و من تبعهم الي يوم الدين.

أرسل الله عز و جل الأنبياء و أوحي اليهم ليُنقذوا الناس من ضروب الضلالة و يهديهم الي الصراط المستقيم. و أنزل القرآن الي خاتم النبيين محمد صلي الله عليه و سلم و ألقي عليه وظيفة تبليغه و تبيينه كما بينت هاتان الآيتان الكريمتان :

إحديهما في سورة المائدة : " يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين " (الآية :٦٧). و الأخري في سورة النحل : " و أنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم و لعلهم يتفكرون " (الآية :٤٤)

و بعد إرتحال النبي صلي الله عليه و سلم الي دار البقاء أدي أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وظيفة هذا التبليغ و التبيين بشرح ما أشكل علي الناس مراجعا في هذا الي القرآن بنفسه أولا و الي سنة نبيهم ثانيا و إذا لم يجدوا شيأ في هذين المرجعين الأساسين اجتهدوا برأيهم.

و بعد هذا الجيل النبيل وفّي بهذه الخدمة لكتاب الله العزيز العلماءُ من التابعين و أتباعهم رحمة الله عليهم أجمعين مراجعا مثل أسلافهم الي المنبعين الأولين و اجتهاد الصحابة ، و إذا لم يقفوا ما يحل مشاكلهم اجتهدوا برأيهم أيضاً.

فنسمي هذا الشرح و التبيين لآيات القرآن الكريم " تفسيرا " و المؤدي هذا الوظيفة " مفسرا ". و أول مفسِّر كما أشرنا اليه سابقا هو الرسول محمد صلي الله عليه و سلم . و من عصر النبوة الي يومنا هذا ظهر كثير من المفسرين . بعضهم فسر القرآن من أوله الي آخره آية آية ، و بعضهم اكتفي بتفسير بعض السور أو الآيات فقط.

فمن هؤلاء الذين فسروا عدة سور من القرآن الكريم محمد أمين بن صدر الدين الشرواني رحمة الله عليه ، ففسر سورة الفاتحة و يس و الفتح و الإخلاص.

فمن بين هؤلاء السور الأربعة تناولنا بالبحث و التحقيق سورة الفتح ففتشنا فيها

طريقة المفسر. لأننا بعد التدقيق رأينا أن هذا النسخة من التفسير أولي و أوقف من حيث محتواها و أحوج الي الدراسة من بين تفسير ثلاث السور الأخري .

قسّمنا هذه الدراسة علي أربعة فصول:

ففي الفصل الأول بحثنا عن حياة المؤلف و نشئته في العلم و أساتذته و طلابه و آثاره العلمية.

ففي الفصل الثاني تناولنا بالبحث علم التفسير علي سبيل الإختصاص و طبيعة و خصوصيات تفاسير السورو تعريف سورة الفتح من جوانبها المختلفة كفضائلها و أسباب نزول آياتها و ما الي ذلك. و بعد هذا دققنا تفسير سورة الفتح و محتواه و مصادره.

و في الفصل الثالث وصفنا نُسخ تفسير سورة الفتح للمؤلف و بينا طريقتنا في التحقيق و التعليق.

و في الفصل الرابع قارنّا بين أربعة نسخ تفسير سورة الفتح للمؤلف محمد أمين بن صدر الدين الشرواني من بين ثمانية نسخه الموجودة في مختلف المكتبات باستانبول و أتممنا النسخة المحققة و المعلقة عليها.

و أقدم أفضل شكري للأستاذ المشارك فضيلة الشيخ يعقوب جيجك الذي أشرف علي دراستي هذه و أرشدني في عملي . و أشكر أيضا الي أساتذتي و أصدقائ الذين ساعدوني علي إحضار هذه الرسالة.

عمر جليك

استانبول ـ ١٩٩٢

الطريقة المتبعة في التحقيق و التعليق

اتخذنا نسخة قسم أسعد أفندي بالمكتبة السليمانية أصلا في تثبيت المتن و استفدنا من النسخ الأخري و اجتهدنا في وضع أصحّ متن من بين هذه النسخ و بينا الفروق الموجودة بين النسخ في الحاشية.

و أثبتنا تاريخ إستنساخ النسخة الأساسية باستدلال وجود نفس التاريخ في آخر الرسالة التي تليها مباشرة في المجموعة من الرسائل و هو ألف و عشرون (١٠٢٠) الهجرية. و ذلك لما رأينا أن نسختنا لأساسية و الرسالة التي تليها في المجموعة مستنسختان بنفس نوع الخط و هو التعليق و المداد ، و أن لون الأوراق و أبعادها و غلظتها و عدد سطورها و القلم المستعمل في الإستنساخ واحدة. و حتي إننا وجدنا مكتوبة في آخر الرسالة التي تلي نسختّنا الأساسية هذه العبارة : " تم علي مؤلفه الجاني ، محمد أمين بن صدر الدين الشرواني بمحروسة آمد حفظت من كل شر حاسد يوم الثلثاء العشرين من شهر صفر المظفر سنة عشرين و ألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية حامدا لله و مصليا علي نبيه و آله ". و يظهر من هذه العبارة أن نشختنا الأساسية مستنسخة بخط المؤلف أيضا.

و لكن لما رأينا أن بعض مواضع النسخة الأصلية ناقصة و بعضها الأخري محشفة من حيث لم يمكن التمييز و القرائة أو أنها تصعب جداً اضطررنا الي مقابلتها بالثلاثة النسخ الأخري و اجتهدنا في تثبيت أصح متن بين النسخ الأربعة.

و علقنا علي الآيات الكريمة المذكورة في المتن بالإشارة الي مواضعها و رقمها في المصحف ، و علقنا أيضا علي الأحاديث الشريفة و النقول الأخري المذكورة في المتن بالإشارة الي مواضعها في المصادر و قيدنا معلومات مختصرة في الحاشية علي تعريف الأشخاص المذكورة .و القسم الذي كتب بين القوسين هذا { } أضيف الي المتن من طرفنا.

ترجمة المؤلف

و هو محمد أمين بن صدر الدين الشرواني ، نسبته الي شروان من نواحي البخاري ، نزيل القسطنطنية ، عالم مشارك في أنواع من العلوم . أقام في آمد بدياربكر و في القسطنطنية .

و هو من أجلّ أفراد الدنيا في التحقيق و التبحر من كل فن ، و كان متفوقا علي أمثاله من جهة ذكائه و تضلعه من العلوم في عصره .

أخذ عن الملاّ حسين الخلخالي (توفي سنة ١٦٠٥/١٠١٤) ، و كان يعرض عليه حاشيته علي شرح العقائد العضدية للملاّ جلال الدواني (توفي سنة ١٤٩٠/٨٤٠) فيزيّفها له حتي شهد له بأنه أفضل منه .

و كان خرج من بلاده و هو شروان فوصل الي الوزير نصوح و هو معين لقتال شاه العجم فعظّمه و بالغ في احترامه و رتّب له التعايين الوافرة ثم صحبه الي الروم فأقبل عليه أهلها و لزموه للأخذ عنه واشتهر حد الإشتهار فولاّه سلطان أحمد مدرسته برتبة قضاء قسطنطنية وانعكفت عليه الأفاضل . و كان يحضر درسه ما يزيد علي ثلاث مائة تلميذ . و نُقل عن حفيده المولي صادق أنّ جماعة من قضاة العساكر كانوا يذهبون الي درسه و يستمعون من الشبابيك و لا يدخلون الي داخل الدرس حذرا من هضم جانبهم .

و هو مفسر ، متكلم ، منطقي و فلكي ، و له مؤلفات كثيرة :

آثاره العلمية

ا ـ آثاره في التفسير

١ ـ حاشية علي تفسير البيضاوي

٢ ـ تفسير سورة يس

٣ ـ تفسير سورة الفتح

٤ ـ تفسير سورة الإخلاص

٥ ـ تفسير سورة الآية الكرسي

ب ـ آثاره في الكلام

١ ـ شرح قواعد العقائد للغزالي

٢ ـ رسالة في المبدأ و المعاد

٣ ـ رسالة في مسئلة الإيمان

٤ ـ حاشية علي ديباجة شرح الدواني للعقائد

٥ ـ ترجمان الأمم

٦ ـ رسالة في إشكال كون " وحده " في لا اله الا الله

ج ـ آثاره في المنطق

١ـ شرح علي جهة الوحدة للفناري

٢ ـ حاشية علي حاشية الخلخالي علي التهذيب

٣ ـ حاشية علي شرح الحسكاتي علي إيساغوجي

٤ ـ حاشية علي حاشية الصغري للسيد علي الكتب

٥ ـ تعليقة علي حاشية السيد علي الشمسية

و آثاره الأخري :

١ ـ حاشية علي المطول

٢ ـ الفوائد الخاقانية

٣ ـ تعدد الجوامع

و هو توفي سنة ست و ثلاثين و ألف (١٠٣٦) الهجرية و دُفن في أسكودار .

(كشف الظنون لكاتب جلبي : ١/١٩٢،١٣٥٨،١٩٠٦ ؛ هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي : ٦/٢٧٥ ؛ الأعلام للزركلي : ٦/٢٦٦ ؛ معجم المؤلفين لعمر رضا الكحالة :٩/٧٣ ؛ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان : ٣/٣٢٨ ؛ عثمانلي مؤلفلري لمحمد طاهر برسوي : ٢/٢٣ ؛ طبقات المفسرين لعمر ناصوحي بلمن :٢/٦٨٩)

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

{ تفسير سورة الفتح }

إن أحسن [2] ما يفتح به أبواب المرام و خير ما يستفتح به من الملك العلاّم حمداً لله [3] الذى فتح للمؤمنين فتحًا مبينًا.و انزل السكينة في قلوبهم و كان له ناصراً و معينًا. و أولي ما يختم به ختام الكلام و يستكشف به كروب الانام و الصلاة علي محمد الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و هداه صراطا مستقيما. و علي اله الذين بايعوه تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم و كان الله بكل شيء عليمًا.

و بعد فيقول أنقر الخلق إلي الجانب الصمداني محمد أمين بن صدرالملة والدين الشرواني بلغهما الله الخير و الاماني [4] : لما رأيت أن الحوادث فتحت ابوابها و النوايب أطالت أنيابها و تلاطمت أمواج الفتن في البلاد و تراكمت أفواج المحن في العباد، أثرت الافتراق علي الاجتماع و بدلت الاتصال بالانقطاع ، فهاجرت [5] من الاوطان و الاطلال[6] و فارقت الابناء و الاخوان و التزمت الأسفار و ركبت فقار القفاز [7] وطفقت أجوب [8] من أرض الي أرض ، وأسير في الأقطار بالطول و العرض ،

---

(١) م ؛ س : بسم الله الرحمن الرحيم ربّ تّمم بالخير ؛ ش : و به نستعين رب تمم بالخير .

(٢) الأصل :إن حسن...

(٣) م ؛ ش : حمد الله

(٤) س : خير الآمال و الأماني

(٥) الأصل : فهاجري

(٦) ش ، س : من الاطلال و الأوطان

(٧) الفقار : الظهر و هو ما انضمّ من عظام الصلب من لدن الكاهل الي العجب . و القفاز : يقال للخيل السراع التي تثبّ في عدوها قافزة و قوافز .(ابن المنظور ، لسان العرب ، ج : ٥ ، ص : ٦١)

(٨) الأصل : و أجوب

حتي وفقت (٩) بالفوز الي مطلب الاسني و المقصد الاعلي. و هو زيارة الحرمين الشرفين شرفهم الله تعالي مدي اختلاف الملوين ١٠) .

فلما قضينا من مني كل حاجة و مسح (١١) بالاركان من هو ماسح (١٢) و شدت علي دهم المهادي (١٣) في (١٤) رحالنا و لم ينظر الغادي الذي هو رايح. أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا (١٥) و سالت بأعناق المطايا الأباطح حتي انخنا بمدينة السلام أعني محروسة دمشق الشام. ففتحنا (١٦) العين علي جنة النعيم بلدة طيبة و مقام كريم.لقد جمعت فيها المحاسن كلها و المآثر جلها بيد ان الفاضل (١٧) فيها مطروح في زواي الخمول و مرفوع فوق الرؤس كل بليد و جهول. تري كل خليع العذار قد لبس العمامة و تبصر كل عار عن المعالي متزيا (١٨) بزيّ التقدم و الإمامة.

فلما شاهدت الحال علي هذا المنوال مع ما اعترض في احوال الزمان من اختلال الامن و الأمان استترت بالخمول و الإنكسار و انزويت فى هذه الديار و التزمت قرع باب المناجات لا لجّ منتظراً من رحمة الله بعد الشدة و الفرج . فإذا شمس المراد قد طلعت(١٩) من مغربها و تلألأ وجه الأرض نوراً و امتلأ العالم من مشرقها بهجةً و سروراً . فأصبحت

---

(٩) الأصل : وفقيت

(١٠) س : في الحاشية : الليل و النهار

(١١) ش : سبّح

(١٢) ش : سبّح

(١٣)الأصل : المحصار ، ف : المهار

(١٤) ف : ساقط

(١٥) م ، ف : بيننا

(١٦) ش : و فتحنا / س : فتحنا

(١٧) ش ، س : أن الأفاضل

(١٨) م ، ف ، ش ، س : تزيّاً

(١٩) الأصل : طلت

الأرض آمنة الأطراف و الدنيا ساكنة الأكناف و نادى المنادى حيّ على [٢٠] الفلاح و المراد ، و انطلق ملأ البغاة منهم أن امشوا و اصبروا أن هذا الشيئ يراد [٢١].

و هو الصاحب العادل الذى أشرق(٢ /أ) من جبينه [٢٢] نور الهدى و ارتفع بيمن معدلته رايات الإسلام و التقى. الحاوى للفضيلتين العلمية و العملية [٢٣] ، الجامع للرياستين الدينية و الدنيوية ملاذ أفاضل الأمم المتخلق بمكارم الأخلاق و عوالى الهمم ، جامع شتات المعالي محيى رفات الأعالى ، حامى حوزة الإسلام عن الإنهدام ، رافع ظلم الظالم [٢٤] بالسيف و الإصطلام . مفيض الإفضال و الإنعام على الورى سيما علماء الإسلام ، عمر برأفته الإقلام و زيّن بمدحته الأقلام و انبسطت موائد فضائله [٢٥] على صفحات الدهور والاعوام الطائر صيت جلاله كالأمطار في الأقطار،الشايع اخبار افضاله كالأمصار في الأمصار، غاية همّته إعلاء كلمة الله، نهاية نهمته جمع شتات خلق الله، مبرّز أساس العدل، مطرّز لباس الفضل، شمس الضحي، بدر الدجي، غيث الندي ليث الدغي. أزهر ماء صارمه في حديقة الهيجاء إزهار [٢٦] الفتح و الظفر و أمطر [٢٧] نصال سهمه علي البغاة [٢٨] إمطار الطوح و الحس . إنسان عين الوزارة [٢٩] و نور حديقة [٣٠] الأمارة [٣١]، الفائز في فضائل بالقدح المعلي و في محاسن الشمائل

---

(٢٠) ف : ساقط
(٢١) سورة صآد (٣٨) : ٦
(٢٢) الأصل : جهته
(٢٣) ش : العملية و العلمية
(٢٤) الأصل ، م ، ش ، س : الظلم
(٢٥) م ، ف ، ش ، س : فواضله
(٢٦) الأصل ، ف : أزهر
(٢٧) ف : ساقط
(٢٨) الأصل ، م ، ف ، س : علي البغاء
(٢٩) س : عين انوارة
(٣٠) م ، ف ، ش ، س : حدقة
(٣١) الأصل ، ف : الأمان / م : الأمانة

بالنصيب الأعلي، صدر مجامع الأعلي بدر مطالع المعلي(٣٢) ، شمس الدين المبين [٣٣] ، مقصود الوري و مراد المسلمين. معتمد أعيان الملة الأسلامية، أسوة دولة العثمانية ، آصف سليمان الزمان ، آصف أجفان الأعيان ، عتبته العليّة محط رجال الأفاضل، و سدته السّنية ملقي المني و النوائل.

أعني به الصاحب الأعظم و الوزير الأفخم ألذي أعزّه الله ألذي يعزّ من يشاء ، المدعوّ في عالم الإبداء و الإنشاء خضرة [٣٤] مراد [٣٥] باشا [٣٦] لا زالت الأفلاك دائرة علي مراده ، و انوار الصدق و اليقين ساطعة في فواده و لحوزة [٣٧] الإسلام ركنا ركينا و لبيضة الدين حصنا حصينا ، و ما برح ظهر كفّه [٣٨] مشربا يزدحم عليه شفاه الصناديد [٣٩] و الأقيال و بطن كفّه سحابا يمطر شآبيب الآمال و الإقبال [٤٠] .
اللّهمّ اجعل جناب جلاله معادن اليمن و الكرامة ومواطن الأمن و السلامة [٤١] و زده توفيقا علي إعلاء السنن الفاضلة و إحياء الرسوم العادلة ، و اجعل ما يتواصل الي ذوي العلم من نعمه مشكورا و ما يتواتر الي [٤٢] اهل الفضل من كرمه مبرورا ، و رايات

---

(٣٢) الأصل ، م ، ف : " صدر مجامع الأعلي بدر مطالع المعلي " : ساقط

(٣٣) ش : المتين

(٣٤) ش ، س : ساقط

(٣٥) الأصل : محمد باشا

(٣٦) مراد باشا : و هو مراد ابن احمد الأول و اخو عثمان الثاني ، المشهور بمراد الرابع في شجرة سلاطين العثمانية . ولد سنة (١٦١٢ م) في يوم الجمعة . كان ملكاً في سنّه اثني عشر . و دام سلطنته من ١٦٢٣ م الي ١٦٤٠م . و توفي سنة ١٦٤٠ م . (اسماعيل حامي دانشمند ، ايضاحلي عثمانلي تاريخي كيرينولوجسي ، ج : ٣ ، ص : ٣٢٥)

(٣٧) الأصل : الحومة / م : الحونة / ف : الحوظ

(٣٨) س : ظهر الكف منه

(٣٩) الأصل : صناديد

(٤٠) الأصل ، م ، ف : " و بطن كفه سحابايمطر شآبيب الآمال و الإقبال " : ساقط

(٤١) الأصل ، ف : ساقط

(٤٢) ف : لِ

إقباله برياح الظفر منشورة و آماله في الدارين محصّلة ميسورة و إيحاء الممالك [٤٣] بحسن تدبيره و مساعيه الجميلة معمورة و حافاتها بنواء [٤٤] ذوارف عوارفه مغمورة .

و لمّا حال الحال و آل الأمر الي ما آل من إنكشاف الغمّ و زوال الظّلم و رجع الأمن و الأمان بيمن دولة هذا الوزير العظيم الشأن [٤٥] حريّت أن أخدم خدمة [٤٦] سدّته السنيّة و حضرته السميّة بتحفة تشاكل ما في خزاينه [٤٧] الكريمة و يماثل ما فيها من الدرر اليتيمة ، و تذكرت ان اجلّ البضاعات و التحف في حضرته العليّة ال مسائل العلميّة و أنفس الهدايا في سدّته الرفيعة المطالب الدينية ، و إذ لا خيل عندي أهديها و لا مال فليعد النطق إن لم يسعد الحال فأخترت (٢ /ب) نبذة من تفسير بعض السور القرآنيّة و تأويل بعض الحكم الفرقانيّة و خصّصت سورة الفتح بينها و شمّرت عن ساق الجدّ لتفسيرها و تبيينها إذ [٤٨] فتح اللّه له فتحا مبينا و قطع علي يده دابر القوم الّذين ظلموا و أعدّ لهم عذابا مهينا. و المترقب من حضرته التلقي بالقبول فإنّه غاية المسؤل و ان يستحب ذيل الأغماض و الأعراض عن مواقع الذلل و الإعتراض فما أنا [٤٩] إلاّ كمن يهدي الي الشمس ضياء و الي السماء سناء لأنّه يفكره النقاد و خاطره الرقاد فاز بما [٥٠] لم يفز به ابناء الزمان و وصل الي ما تقاصر عنه اكثر الأقران فلا غرو ان حضرة المخدوم ان إلتفت لغت الأفاضل و تنزل علي حسب [٥١] إختلافهم في المنازل فقد بلغ السيل الربيّ و جاوز الضنك ان يحصي و الي اللّه المشتكي و اليه الرجعي.

---

(٤٣) الأصل ، م ، ف : المماليك

(٤٤) الأصل ، م ، ش ، س : بتواتر

(٤٥) ف : عظيم الشان

(٤٦) الأصل ، م ، ش ، س : ساقط ؛

(٤٧) س : خزانته

(٤٨) ش : اذا

(٤٩) ف : انّي

(٥٠) ف : ما

(٥١) ف : صاحب

سورة الفتح آيها تسع و عشرون و ها أنا أشرع في المقصود مستمرا من ولي الطول و الجدل (٥٢).

قال الإمام البيضاوي (٥٣) في تفسيره : هي مدنيّة نزلت في مرجع رسول اللّه صلّي اللّه عليه و سلّم من الحديبية إنتهى (٥٤). و هذا يلايم كونه إخبارا عن صلح الحديبية علي ما سنفصل. فإن قلت نزولها في المرجع من الحديبية ينافي كونه مدنية قلت : للعلماء في المكي و المدني اصطلاحات ثلاثة أشهرها أنّ المكي ما نزل قبل الهجرة و المدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة ام بمكة (٥٥) عام الفتح او عام حجة الوداع او بسفر من الأسفار. و الثاني: أنّ المكي ما نزل بمكة (٥٦) و لو بعد الهجرة و المدني ما نزل بالمدينة و علي هذا يثبت الواسطة فما نزل في الأسفار ليس بمكي و لا بمدني (٥٧). الثالث: أنّ المكي ما وقع خطابا لأهل مكة و المدني ما وقع خطابا لأهل المدينة (٥٨) هذا ، فإطلاق المدنية علي هذه السورة بناء علي الإصطلاح الأول الأشهر.

---

(٥٢) ف ، ش ، س : " و ها أنا أشرع في المقصود مستمرا من ولي الطول و الجدل " : ساقط

(٥٣) و هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي (و . ٦٨٥ ه ، ١٢٨٦ م .)الشيرازي ، الشافعي (ناصر الدين ، ابو سعيد) ، قاض ، عالم بالفقه و التفسير و الأصلين و العربي و المنطق و الحديث . توفي بتبريز . (عمر رضا الكحالة ، معجم المؤلفين ، ٦/ ٩٧).

(٥٤) بيضاوي : ٥/ ٨١

(٥٥) ف : أ نزل بمكة ام بالمدينة

(٥٦) م : بالمكة

(٥٧) ف ، س : بمكي و لا بمدني

(٥٨) الإتقان في علوم القرآن : ١/ ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً } (١)

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً) الفتح هو [٥٩] الظفر بالبلد [٥٩] عنوة أو صلحا [٦٠] . فهذا وعد من الملك الفتّاح للرسول المبعوث بالسيف و الرماح بفتح مكة او بفتح ما اتفق له في سنة صلح الحديبية من فتح قلاع خيبر ، و الفتح الموعود و إن لم يكن واقعا بعد [٦١] فكان حقّه صيغة المستقبل الا أنّ التعبير عنه بالماضي لتحقق وقوعه ، و التعبير عن المستقبل المتحقق الوقوع بصيغة الماضي شايع سيما في الأخبار الإلهية مثل: "وَ نَادَي أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَالنَّارِ" الآية [٦٢] ، مع ما فيه من التنبيه علي أنّ المستقبل و الماضي عنده تعالي سيان [٦٣] ، ليس عند ربك صباح و مساء .

و ستسمع منا تحقيق هذا الكلام و توضيح ذلك المرام إن شاء الله تعالي فعلي هذا القول [٦٤] ففي الفعل تجوز إمّا باعتبار الزمان أو باعتبار الحدث و علي أيّ تقدير ففي الفعل إستعارة تبعية ، إمّا علي الأول فتوجيهه أنّه شبه الزمان المستقبل بالزمان الماضي بجامع كونه ظرف الأمر المتحقق فاستعمل اللّفظ الموضوع بصيغة للماضي في المستقبل و المصدر باق علي حاله لم يتغير معناه فالإستعارة في الصيغة و الهيئة أولا (٣ /أ) إذ هي

---

(٥٨) ف : ساقط

(٥٩) ف : بالبلدة

(٦٠) الكشاف : ٥٤١/٣

(٦١) الكشاف : ٣/ ٥٤١ ، الرازي : ٧٧/٢٨

(٦٢) الأعراف (٧) :٤٤

(٦٣)الأصل : سيبان

(٦٤) س : ساقط

الدالة علي الزمان الماضي وبواسطته في الفعل كما في صورة الإستعارة فيه بواسطة المصدر إلاّ أنه بواسطة الجوهر و المادة ، و هاذه [٦٥] بواسطة الهيئة و الصيغة ، و إمّا علي الثاني فتوجيهه أنه شبه الحدث الواقع في المستقبل بالحدث الواقع[٦٦] في الماضي فاستعمل الدال علي الثاني في الأول الاّ انّ التغاير في الإستعارة التبعية التي في المصدر في المشهور كما في قتل بمعني ضرب ضربا شديدا ذاتيّ و ههنا [٦٧] إعتباريّ هذا .

و يمكن توجيه صيغة الماضي أيضا [٦٨] بأن يقال إختياره لقوة الأسباب المتاوافقة[٦٩] في حصول الفتح كما يقال حين إنعقاد البيع : " إن اشترينا " ، و كذا يمكن أن يقال إنّ هذا من باب التفأل لأجل السامع و لو نوقش [٧٠] في التفأل في كلام ربّ العزّة . نقول [٧١] بعد التنزل عن أنه لنشاط السامع [٧٢] ، أنه علي طريق أسلوب كلام العباد تقريبا الي فهمهم . وكذا يمكن أن يكون ذالك لإظهار الرغبة في وقوعه من المتكلّم علي نسق كلام العباد او من السامع . و قيل يجوز أن يقال : الإرادة ههنا معتبرة إمّا علي سبيل الحذف او علي طريق المجاز المرسل كما في قوله تعالي "إِذَا قُمْتُمْ إِلَي الصَّلَوةِ " الاية [٧٣] ، " وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ " [٧٤] و هذا مطرد في جميع الأفعال الإختيارية ، إنتهي .

---

(٦٥) ف : و هذا
(٦٦) الأصل ، ش ، س : ساقط
(٦٧) م : و هو أيضاً
(٦٨) الأصل : ساقط
(٦٩) م ، ف ، س : المتآخذة
(٧٠) الأصل ، م : نقش
(٧١) ش ، س : ساقط
(٧٢) ش ، س : نقول
(٧٣)المائدة (٥) : ٦
(٧٤) النحل (١٦) : ٩٨

و فيه أنّ إرادته تعالي لا يتخلف عنه المراد " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (٧٥) فلا (٧٦) يتصور أن يتحقق إرادة الفتح في الماضي فلا يكون (٧٧) الفتح متحققا بعد . أو المراد من الفتح الصلح ، و هذا إخبار عن صلح الحديبية فلا تجوز في الفعل حينئذ باعتبار الزمان بل باعتبار المصدر ، لأنّ هذا الصلح لمّا وقع بعد ظهوره عليه السلام علي المشركين و غلبته عليهم حتّي اضطرّوا الي الصلح و جنحوا للسلم كان هذا الصلح تنبيها (٧٨) بالفتح فعلي هذا يكون في الفعل أيضا إستعارة تبعية علي النحو المشهور او نقول إنّ الصلح لمّا وقع سببا لفتح مكّة و فتح سائر مواضعهم فسمي الصلح فتحا تسمية للسبب باسم المسبب فكان الفتح مجاز مرسلا ، ففي الفعل مجاز مرسل تبعا لمصدره (٧٩) فينبغي أن يسمي مجاز مرسلا تبعيا لكنهم لم يتعرضوا (٨٠) لهذا ولم يسموه باسم التبعيّ ، لكن بقي الكلام في وجه فائدة الخبر حين تفسيره (٨١) بصلح الحديبية مع أنه معلوم للمخاطب فنقول فآئدته حينئذ بالنسبة الي السامع غير المخاطب صحابة او غيرهم أو نقول كون الصلح واقعا وإن كان معلوما للمخاطب لكن كونه فتحا لعلّه غير معلوم لهذا سألوا رسول الله عن كونه فتحا علي ما في الكشاف (٨٢) . او نقول لعلّ فائدته ترتب العلة عليه و هو قوله تعالي :« ليغفر لك الله » .

او المراد بالفتح غلبة الروم علي فارس إذ فرح به المسلمون (٨٣) . فلا تجوز في الفعل باعتبار الزمان و لا باعتبار المصدر لكونه (٣/ب) إخبارا حينئذ عمّا ثبت و

---

(٧٥) يس (٣٦) : ٨٣

(٧٦) ش : و لا

(٧٧) ش : و لا يكون

(٧٨) : شبيها

(٧٩) م : للمصدر

(٨٠) ش : يتعرضوا

(٨١) ش : علي تقدير تفسيره

(٨٢) الكشاف : ٥٤١/٣

(٨٣) الروم (٣٠) : ٤

تحقق الا[٨٤] أنّ في هذه الوجوه الثلاثة و هو أن يراد بالفتح فتح مكة أو الصلح أو غلبة الروم مجازا عقليًا من جهة أنّ الفتح و الصلح فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم أو عسكره و نسبته اليه تعالي من جهة أنّه سببه او موجده . و النكتة في إرتكاب هذا المجاز و العدول عن الأصل تعظيم شأن الفتح أو الرسول عليه السلام او المؤمنين .

ثمّ انّ عادة العظماء ان يعبّرو عن انفسهم بصيغة المتكلم [٨٥] مع الغير لأن ما صدر عنهم في الأكثر بإستخدام توابعهم و لهذا اجري [٨٦] عادته سبحانه و تعالي أن يعبر عن ذاته المقدسة بهذه الصفة . و ما قيل [٨٧] من انّ [٨٨] إسناده نون العظمة لإسناد افعال العباد اليه خلقا و إيجادا [٨٩] فهو و إن كان مصحّحا لهذا المجاز لكنه بمعزل عن ترجيحه علي الحقيقة التي هي الأصل علي أنه إنما يصحح اصل الإسناد من غير خصوصية كونه الي نون العظمة لجريانه علي تقدير إسناده الي تاء الوحدة أيضا .

فإن قلت لعلّه اراد أن افعال العباد كلها لما كانت مخلوقة له تعالي كان نسبة الفتح و الصلح اليه تعالي إسنادا الي ما هو له فهو حقيقة لا مجاز . قلت ما هو له عبارة عمّا كان الفعل أو معناه حقه أن يسند اليه في العرف بأن يكون قائما به و يكون هو محلاً و موضوعا له سواء كان مخلوقا له او لغيره صرحوا به كيف ، و لو كان كذالك لكان إسناد

---

(٨٤)ف : ساقط

(٨٥) الأصل : متكلم

(٨٦) ف ، س : جري

(٨٧) و هو محمد بن محمد مصطفي العمادي المولي ابو السعود (٨٩٨ / ٩٨٢ ه ، ١٤٩٣/١٥٧٤ م) مفسر ، شاعر ، من علماء الترك المستعربين ، ولد بقرب القسطنطنية و درس و درّس في بلاد متعددة . و تقلد القضاء في بروسة فالقسطنطنية و الروم اياي . و كان حاضر الذهن ، سريع البديهة ، كتب باللغة العربية و الفارسية و التركية . و هو صاحب التفسير المعروف باسمه ، و قد سماه " ارشاد العقل السليم الي مزايا الكتاب الكريم " .(الزركلي ، الأعلام : ٧/ ٢٨٨) . هذا مذكور في النسخة : س .

(٨٨) الأصل : ساقط

(٨٩) ابو السعود : ١٠٤/٨

جميع الأفعال الي موضوعاتها و محالها مجازا و صحّ إسنادها اليه تعالي حقيقة كالصوم و الصلاة و غير ذالك ، هذا . و يمكن توجيه نسبته الي ذاته المقدسة بأن يجعل إستعارة مكنية او يراد بالفتح خلقه و إيجاده ، او يكون المجاز في الهيئة التركيبية الموضوعة للإسناد الي ما هو له لكونه مستعملا في الإسناد الي غيره ، أو يكون من قبيل الإستعارة التمثيلية.

و الوجوه الثلاثة الأول مّا ذكره القوم في المجاز العقلي (٩٠) في مثل "أنبت الربيع البقل" . و أمّا وجه الرابع فمما ابداه بعض المحققين (٩١) ، هذا . او المراد بالفتح الحكومة و القضاء بأن يكون مأخوذا من (٩٢) الفتاحة بمعني الحكومة اي قضينا لك علي اهل مكة ان تدخلها ، من قابل (٩٣) فلا تجوز فيه اصلا لا في المادة و لا في الهيئة و لا في النسبة ، أو فتح الإسلام بالحجة و السنان (٩٤) و يرد عليه انّ هذا أمر ظاهر لا ينفع في تطييب خواطر المسلمين في الحرمان عن دخول مكة شرّفها الله تعالي . و امّا تأكيد هذا الحكم بايراد كلمة إنّ و إسمية الجملة و تكرير الحكم بتقديم المسند اليه مع عدم إنكار المخاطب فلكون السامعين منكرين له (٩٥) ، او انّ هذا الحكم لقرابته و عظم شأنه مظنة الإنكار و التعجب ، او لأنّ المتكلم او المخاطب راغب فيه و له نشاط به ، او تقول المخاطب و إن لم يكن منكرا للحكم الأ أنه متردد فيه فذكر " إنّ " دفعا لتردده فلزم منه تقديم

---

(٩٠) الأصل : العقل

(٩١) و هو محمد بن مسعود بن مصلح الفارسي قطب الدين الشيرازي (٦٣٤/ ٧١٠ ه ، ١٢٣٦/١٣١١ م) . قاض ، عالم بالعقليات ، مفسر . ولد بشيراز فقرأ علي ابيه ، و دخل الروم و زار الشام . ثم سكن تبريز و توفي بها . و كان ظريفا لا يحمل هماً و لا يغير ذي الصوفية . له " فتح المنان في تفسير القرآن " . منه الجزء الأول مخطوط . و " مشكلات التفسير " مخطوط . (الزوركلي ، الأعلام : ٦٥/٨-٦٦) . هذا مذكور في النسخة : س .

(٩٢) ف : في

(٩٣) الكشاف : ٥٤١/٣ ، ابو السعود : ١٠٤/٨ .

(٩٤) الرازي : ٧٧/٢٨

(٩٥) م ، ف ، س : ساقط

المسند اليه ، لأنّ "إنّ" (٩٦) لا يدخل علي الفعل فلزم منه (٤/أ) تكرير الحكم ، فكثرة التأكيد لازم ليس مقصودا لذاته فيمكن في مقابلة المتردد علي أنه يجوز أن لا يكون تقديم(٩٧) المسند اليه للتقوية بل للإختصاص ردا لزعم السامع دون المخاطب .

و أمّا وجه تقديم " لك " (٩٨) علي المفعول المطلق فهو الإشارة الي أنّ الإهتمام بكون الفتح نفعا له عليه السلام أقوي من الإهتمام بشأن كونه فتحا مبينا . و امّا حذف المفعول فللقصد (٩٩) الي نفس الفعل و الإيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح لا خصوصية المفتوح ، و لهذا ذكر المفعول المطلق و هو قوله تعالي " فتحا مبينا " اي بينا لا يدفع و مكشوفا لا يتقنع إما علي تقدير كون المراد فتح مكة فكونه مبينا ظاهر و امّا إذا كان المراد صلح الحديبية فلأنه صار سببا لتفرغه عليه السلام لفتح سائر المواضع . و ظهرت فيه آيات عظيمة حيث بويع بيعة الرضوان و غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و بلغ الهدي محله و ظهرت الروم علي فارس ففرح به المسلمون و صار سببا لصدق ما وعده(١٠٠) عليه السلام كما مرّ في سورة الروم فصار سببا لإعتقادهم .

و نزح ماء بئر الحديبية حتّي لم يبق فيه قطرة فتمضمض رسول الله صلّي الله عليه و سلّم فمجّه (١٠١) فيها فدرت بالماء حتّي شربت جميع من كان معه عليه السلام (١٠٢) ثمّ إنّ ههنا بحث كلامي و هو أنه علي تقدير الثبوت الكلام النفسي و كونه أزليا علي ما هو طريق أهل السنة يلزم الكذب في الأخبار الماضية مثل فتحنا و أعطينا ، لأن صدقه يقتضي سبق وقوع النسبة و لا يتصور السبق علي الأزل . و أجيب بأنّ كلامه في الأزل لا يتصف بالماضي و غيره لعدم الزمان ، و إنما يتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعليقات

---

(٩٦) م : ساقط

(٩٧) ف : تقدّم

(٩٨) الأصل ، م ، ف : ذلك

(٩٩) ش : فلا يقصد

(١٠٠) م : لصدقه / ش ، س : لصدق وعده

(١٠١) س : فمجّ

(١٠٢) بخاري ، المناقب / ٢٥ ؛ المغازي / ٣٥ ؛ احمد بن حنبل ، ٤/ ٣٠ ، ٢٩٠ .

و حدوث الأزمنة ، لكن تحقيق [١٠٣] هذا مع القول بأن الأزلي مدلول [١٠٤] اللفظي عسر جدا و كذا القول بأن المتصف بالمضي و غيره انما هو اللفظ الحادث دون المعني القديم .

فإن اشتهيت تحقيق هذا المطلب علي ما ينبغي فاستمع لما نتلو عليك لنثبت به فؤادك [١٠٥] و انّ اشتمال الكلام النفسي علي المضي و الحضور و الإستقبال إنما هو بالنظر الي زمان المخاطب لا الي زمان المتكلم كما إذا أرسلت زيدا الي عمرو تكتب في مكتوبك اليه اني أرسلت اليك زيدا مع انّه حين ما تكتبه لم يتحقق الإرسال فتلاحظ حال المخاطب و كما تقدر في نفسك مخاطبا و تقول له تفعل الآن كذا و ستفعل بعده كذا و كان قبل ذالك كذا . و لا شكّ أنّ هذا المضي و الحضور و الإستقبال إنما هو بالنسبة الي زمان الوجود المقدر لهذا المخاطب لا بالنسبة الي زمان المتكلم (٤ /ب). فالكلام النفسي لكونه خطابا متوجها لمخاطب مقدر لا يلاحظ فيه الا أزمنة المخاطبين المقدرين ، وما إعتبره أئمة العربية من حكاية الحال الماضية و اعتبار المضي ر الحضور و الإستقبال في الجملة الحالية بالقياس الي زمان الفعل لا زمان التكلم قريب منه جدا .و الله القريب المجيب [١٠٦] .

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ (٢)

وقوله « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ » مع ما عطف عليه ليس عرضا و علة غائية للفتح [١٠٧] . لأن أفعاله تعالي غير معلل بالعرض علي ما حقق في موضوعه بل غاية للفتح و مترتب[١٠٨] عليه و متسبب عنه و كان مقتضي الظاهر ليغفر لك بصيغة جمع

---

(١٠٣) ش : تحقق

(١٠٤) ش : مدلولي

(١٠٥) الفرقان (٢٥) : ٣٢

(١٠٦) هود (١١) : ٦٢

(١٠٧) الكشاف : ٥٤١/٣ ؛ الرازي : ٧٨/٢٦

(١٠٨) الأصل ، م ، ف : ساقط

المتكلم[١٠٩] و العدول عنه الي الغيبة و إظهار اسم الله لتعظيم شأن الرسول و تفخيم أمر المغفرة مع سائر ما انتظم معه في سلك الغاية مع ما فيه من إيماء الي أنّ كل واحد من الغايات مترتبة علي صفة من صفاته دون أخري لكونه اسم ذات المجتمع لجميع الصفات[١١٠] .|

ثمّ إنّ الجمهور علي أنه لايجوز علي الأنبياء المعصية و جوزه[١١١] بعض الخوارج . و تفصيل المقام في علم الكلام ، و القائلون بجواز صدورها عن الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين[١١٢] استدلوا بآيات منها هذه الآية اكريمة ، فإنّ المغفرة بعد تقديم[١١٣] الذنب دال علي تحقق الذنب . و الجواب أنه قبل النبوة و حمله علي تقدم النبوة و ما تأخر منها[١١٤] لا دلالة للفظ عليها[١١٥] إذ يجوز أن يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان ، احديهما متقدمة علي الأخري او أنه ترك الأولي ، و تسميته ذنبا استعظام لصدوره عنه[١١٦] ، أو نقول نسب اليه ذنب قومه فإنّ رئيسَ القوم قد ينسب اليه ما فعله بعض اتباعه[١١٧] ، فالمعني ليغفر لأجلك[١١٨] .

«مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ » اي من[١١٩] ذنب امتك « و» مَا تَأَخَّرَ » اي من ذنبهم ، و امّا ما يقال من انّ المعني ذنب قومك اليك اي ما ارتكبوه من الذنب بالنسبة اليك كإيذائهم

---

(١٠٩) ش : قريب

(١١٠) ابو السعود : ١٠٤/٨

(١١١) ش : و جوزها

(١١٢) الأصل ، م ،ش س : ساقط

(١١٣) ف : تقدّم

(١١٤) ش : عنها

(١١٥) م ، ف ، ش : عليه

(١١٦) ابو السعود : ١٠٤/٨

(١١٧) ف : بعض ما يفعله .

(١١٨) الرازي : ٨٠/٢٦

اياك علي أن يكون المصدر مضافا الي المفعول فضعيف . فإنّ ذلك إنما يتأتي في المصادر المتعدية و الذنب ليس منها ، و الإكتفاء بأدني تعلق في اضافة الذنب اليه ممّا لا يقبله الطبع السليم .]

« وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ »

النعمة ما تستلذه (١٢٠) النفس من الطيبات و هو امّا دنيوي او أخروي (١٢١) ، و الأول امّا وهبي او كسبي ، و الوهبي امّا روحاني كنفخ الروح و ما يتبعه او جسماني كتخليق البدن و ما يتبعه ، و الكسبي امّا تحلية او تخلية (١٢٢) . و امّا الأخروي و هو مغفرة ما فرط منه و ثبوته في مقعد صدق (١٢٣) . و المراد من اتمام النعمة امّا استيفاءجميع هذه الأقسام و امّا تكميل نعمة الدين اي يكمل دينك و يظهره (١٢٤) علي الدين كله و لو كره الكافرون (١٢٥) ، و يزداد أهله يوما فيوما قاهرين علي أهل الملل الباطلة .]

« وَ يَهْدِيَكَ » هداية تليق بشأنك فإنّ هداية الله تعالي أعني دلالة بلفظ علي ما يوصل الي البغية مع كونها متنوعة الي انواع لا تكاد تحصي(٥ /أ) منحصرة في اجناس مترتبة . ولكل مرتبة منها صاحب ينتحيها و طالب بلسان الإستعداد يستدعيها . منها انفسية كإفاضة (١٢٦) القوي الطبيعية و الحيوانية التي بها يصدر عن المرء

---

(١١٩) م ، س : ساقط

(١٢٠) ف : يتلذه

(١٢١) ابو السعود : ١٠٤/٨

(١٢٢) م ، ف : اما تخلية او تحلية

(١٢٣) القمر (٥٤) : ٥٥

(١٢٤) الأصل : و اما تكميل نعمتك و يظهر

(١٢٥) الصفّ (٦١) : ٨، ٩

(١٢٦) م : كإضافة

أفاعليه[١٢٧] الطبيعية و الحيوانية و القوي الداركة و المشاعر الظاهرة و الباطنة التي بها يمكن من إقامة مصالحة المعاشية و المعادية . و منها آفاقية ، فإمّا تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال و هي نصب الأدلة المودعة في كل جزء من أجزاء العالم ، و امّا تشريعية مفصحة عن تفصيل [١٢٨] الأحكام النظرية و العملية بلسان المقال و إرسال الرسل[١٢٩] و إنزال الكتب المنطوية علي فنون الهدايات التي من جملتها الإرشاد الي مسلك الإستدلال بتلك الأدلة التكوينية و الآفاقية و الأنفسية كما أشير اليه مجملا في قوله " وَفي الأرْض ِآيات ُللِموُقنين َو في أنفُسِكمْ افلا تبُصرون " [١٣٠].

و منها الهداية [١٣١] الخاصة وهي كشف الأسرار في قلب المهتدي و إطلاعه علي ملكوت السموات و الأرض ، و هذا القسم يختص بنيلها الأنبياء . و الأول و هو المراد ههنا لحصول المراتب الأخر له عليه السلام حين الخطاب . فإن قلت هذه المرتبة أيضا كانت حاصلة له عليه السلام ، قلت لها عرض عريض ، لا يزال النبي عليه السلام يترقي فيها بهداية الله تعالي و حسن توفيقه . ثمّ إنّ الهداية إن استعمل باللام أو الي يكون بمعني ارادة الطريق و إن استعمل متعديا بنفسه كما في هذا المقام يكون بمعني [١٣٢] الإيصال اي يوصلك ربك :

« صِرَاطاً مُسْتَقِيماً » اي طريقا مستويا متوسطا بين الإفراط و التفريط في جميع الصفات المحمودة اعتقادا او خلقا او عملا ، فإنّ الفوز بالسعادة القصوي انما هو برعاية الإعتدال في جميع الأحوال . لأنّ الأطراف كلها مذمومة و الأوساط محمودة و جميع

---

(١٢٧) م ، س : افاعيله

(١٢٨) ش ، س : تفاصيل

(١٢٩) ش : الرسم

(١٣٠) الذاريات(٥١) : ٢٠ ، ٢١

(١٣١) الأصل : هداية

(١٣٢) الأصل ، ش : " إرادة الطريق و إن استعمل متعديا بنفسه كما في هذا المقام يكون بمعني " : ساقط

الملكات الفاضلة يرجع الي توسط بين طرفي إفراط و تفريط كالسخاوة فإنه إقتصاد بين تبذير و تقتير . بل الإيمان الذي هو أصل العبادات و رأس جميع الفضائل توسط بين التشبيه و التعطيل ، و لهذا يكرر الأمر في الوحي الإلهي بالعدالة و النهي طرفيها ." قُلْ أمرَ ربّي بالقسْطِ " (١٣٣).

و قال بعض المحققين : الصراط المستقيم الذي يبسط (١٣٤) علي متن جهنم يوم القيامة مثال لما في هذه العالم من الصراط المستقيم المذكور في القرآن و هو الإقتصاد(١٣٥) و التوسط بين الأضداد ، فكما انّ الصراط المستقيم الأخروي موصوف بالدقة. البالغة كذالك هذا الصراط المستقيم موصوف بها بل لا عرض له اصلا فبأدني إنحراف يدخل في احد(١٣٦) الطرفين ، لأن الحق واحد لا يتصور فيه التعدد كالخط المستقيم الواصل بين (١٣٧) النقطتين " فماذا بَعْد الحقّ الأ الضلالٌ فأنّي تُؤفكونَ "(١٣٨) فهناك يُعظم (١٣٩) الخطر و يُصعب الأمر و يعترف الكل بالعجز و القصور و يلوح علي الوجنات (٥ /ب) آثار الضعف و الفطور ، و لذالك (١٤٠) قال النبي صلي الله عليه و سلم : "شيبتني سورة هود لما أنّ فيها قوله تعالي (١٤١) « فاستقم كما أمرت » (١٤٢) . اللّهمّ اهدنا الصراط المستقيم (١٤٣) و قنا (١٤٤) من دركات الجحيم آمين (١٤٥) .

---

(١٣٣) الأعراف (٧) : ٢٩

(١٣٤) ف : توسط

(١٣٥) الأصل : اقتصاد

(١٣٦) ف : في حدّ

(١٣٧) الأصل : ساقط

(١٣٨) يونس (١٠) : ٣١

(١٣٩) الأصل : تعظيم

(١٤٠) ش : و ذلك

(١٤١) الترمذي : تفسير سورة ٦/٥٦

(١٤٢) هود (١١) : ١١٢

(١٤٣) الفاتحة (١) : ٦

(١٤٤) ش ، س : ساقط . (١٤٥) ش ، س : ساقط

{ وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً } (٣)

« وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ » اي يعينك و يؤيدك بنصره علي من يشاء . و إعادة الإسم الجليل لإظهار كمال العناية بشأن النصر [١٤٦] و التنصيص بأن النصر من عند الله[١٤٧] يعزّ من يشاء و يذل من يشاء [١٤٨] ، و يأيده التوكيد بقوله « نَصْراً عَزِيزاً » اي قويا منيعا او نصرا فيه عزة و منعة [١٤٩] . فإن قلت فما وجه ترتب هذه الغايات الأربعة علي الفتح و تسببها عنه مع أنه لولا الفتح ايضا لما إمتنع المغفرة و إتمام النعمة و الهداية و النصر فلا يصلح الفتح علة لها . قلت اولا العلية عبارة عن الأمر المصحح للفاء التعقيبية و هذا لاينافي إمكان الحصول المعلول بدونه وقد حقق ذلك في موضعه . و ثانيا أن فرط إشتغاله عليه السلام بتبليغ الرسالة و تكميل النفوس الناقصة و حرصه علي إيمان القوم كان قد عاقه عن التوجه بشراشره نحو جناب القدس و تبتله اليه بالكلية فلم يمكنه التفرغ لأن يتقي الله حق تقاته ، و لا يصدر عنه ما تركه اولي بالنسبة الي منصبه الجليل و لم يمكن [١٥٠] أيضا في بدإ الأمر إكمال الدين و إظهاره علي الأديان كلها من غير فتح أم القري ، و كذا هداية الصراط المستقيم المقتضية للتوجه التامّ نحوه.

و النصر العزيز الغالب المستدعي للغلبة في جميع الجهاد أصغرها و أكبرها ، فلمّا جاء [١٥١] نصر الله و الفتح و رأي الناس يدخلون في دين الله أفواجا فتوجه بجميع شراشره نحو جناب القدس و سبح بحمد ربّه [١٥٢] و استغفر ربه و خرّ راكعا و

---

(١٤٦) ش : النصرة
(١٤٧) الأنفال (٨ : ١٠
(١٤٨) آل عمران (٣) : ٣٦
(١٤٩) الكشاف : ٥٤١/٣
(١٥٠) ف : و لم يمكن
(١٥١) ف : جاءه
(١٥٢) ف : ربك

أناب(١٥٣) ، غفر الله له جميع ما تقدم منه و ما تأخر مما يصح آن يعاتب عليه و أتمّ نعمته عليه بتكميل صورته و معناه و هداه الي صراط العزيز الحميد ، و نصره علي أعدائه الباطنة و الظاهرة ، فلولا الفتح لما استعد عليه السلام لأن يفاض عليه هذه النعمة(١٥٤) الجليلة.

و تأويل الآية في بعض بطونها أنّ الفتح يتنوع ثلاثة انواع : فتح الحلاوة في الباطن و فتح المكاشفة بالحق و فتح العبارة و الكلام . اي فتحنا لك في الأنواع الثلاثة من الفتوح فتحا مبينا ظاهرا يعرفه كل من رأه بما تجلي به و هواه ، امّا فتح الحلاوة فهو ثابت له ذوقا ، و امّا فتح المكاشفة فيما (١٥٤) شاهده ليلة الإسراء من الآيات ، و امّا فتح العبارة فهو أن القرآن أعطي ايّاه عليه السلام معجزة ، فما أعطي احد فتوح العبارة علي كمال ما أعطي رسول الله صلي الله عليه و سلم كما قال سبحانه و تعالي " قُل لئنِ إجتمَعتِ الإنسُ و الجنُّ علي أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتون بمثلِه و لو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً " (١٥٥) (٦/أ) اي معينا .

« لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ » اي يسترك عمّا يتقدم علي الذنوب كالمقدمة من تصميم القلب علي إيقاع (١٥٧) الذنب و العزيمة نحوه و مباشرة أسبابه ممّا يستوجب المآخذة و العتاب .« وَ مَا تَأَخَّرَ » اي يسترك عن عين الذنب كما سترك من مقدمته حتّي لا يجدك فيقوم بك ، لأنك لا بدّ و أن تكون معصوما لوجوب التأسي بك (١٥٨) فلو لم يعمك ربك في مقام العصمة للزم الأمة التأسي بك فيما يقع من الذنوب ، إن لم ينص عليها كما نص (١٥٩) علي النكاح بالهبة :انّ ذلك خالصا لك مشروع و هو حرام علي الأمة (١٦٠) .

---

(١٥٣) سورة ص(٣٦) : ٢٤

(١٥٤) ف ، ش : النعم

(١٥٥) الأصل : فيما

(١٥٦) الإسري (١٧) : ٨٨

(١٥٧) ف : علي الإيقاع علي

(١٥٨) ف : ساقط

(١٥٩) الأصل : ساقط

(١٦٠) الأصل ، م ، س : امّة

« وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » بأن يعطيها لك مخلقة تامة الخلق بتكميل الصورة الألهية التي خلق الله آدم علي تلك الصورة (١٦١).

« وَ يَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً » و هو صراط ربك الّذي هو عليه كما قال في سورة هود : " إنّ ربّي علي صراطٍ مُستقيمٍ " (١٦٢) فمن كان علي هذا الصراط فهو علي(١٦٣) إثر ربه " لا يَضلّ ربي و لا ينسَي " (١٦٤) ثمّ إن الشرائع كلها أنوار ، و شرع محمّد عليه السلام بين هذه الأنوار كنور الشمس بين أنوار الكواكب ، فإذا طلعت الشمس خفيت أنوار الكواكب و اندرجت (١٦٥) أنوارها تحت النور القاهر للشمس و خفائها بنور الشمس نظير ما نسخ من الشرائع بشرعه (١٦٦) عليه السلام مع وجود أعيانها كما يتحقق وجود اعيان الكواكب مع وجود الشمس ، و لهذا الزمنا أن نؤمن بجميع الرسل و جميع شرائعهم أنها حق ، فلم يرجع بالنسخ باطلا " ذلك ظَنّ الذين كفَرُوا " (١٦٧) فرجعت الطرق كلها ناظرة الي طريق النبي صلّي الله عليه وسلم فلو كانت الرسل في زمنه لتبعوه كما تبعت شرائعهم شرعه و لذا قال عليه السلام " لو كان موسي حيًا لما وسعه الأ إتّباعي " (١٦٨). و جميع الرسل طالبون للوصول اليه علي القول باكتساب النبوة الأ أنه عزّ عليهم الوصول الي ذلك كما قال :

« وَ يَنْصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً » فإنّ العزيز ما يرام فلا يستطاع الوصول اليه ، فإنما

---

(١٦١) البخاري : الإستئذان/١ ؛ مسلم : البر/١١٥ ؛ احمد : ٢٤٤/٢١، ٢٥١، ٣١٥.

(١٦٢) هود (١١) : ٥٦

(١٦٣) ش : ساقط

(١٦٤) طه (٢٠) : ٥٢

(١٦٥) ش : ساقط

(١٦٦) ش : شرعه

(١٦٧) صاد (٣٧) : ٢٧

عزّ ذلك لأنّ المكتسب إنما هو السلوك و الوصول الي الباب و أمّا ما وراء الباب فلا علم للواصلين اليه بما يفتح لهم بعد ذلك .

{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ الأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً } (٤)

« هُوَ الَّذِي انزَلَ السَّكِينَةَ » فصّله عمّا سبق لعدم دخوله تحت الغايات المذكورة و لأنها مسرقة لبيان ما أفيض عليهم من مقدمات الفتح و طلايعها في (١٦٩) جميع المواطن من ثبات و طمأنينة و قوّة (١٧٠) .

« فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ » بتبديلهم بن بعد خوفهم أمنا او في هذا المواطن بسبب ما وقع من الصلح بين الفريقين .

« لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ » اي يقينا و طمأنينة منضمّا (١٧١) الي يقينهم و طمأنينهم (١٧٢) ، فإنّ تظاهر الأدلة و تعاضد الحجج توجب زيادة الإطمينان و قوة اليقين . و للسلف إختلاف في أن الإيمان هل يزيد و ينقص ام لا ؟ قال الإمام حجة الإسلام(١٧٣)

---

(١٦٨) الدارمي : المقدمة/١٠٣٩

(١٦٩) م : من

(١٧٠) ابو السعود : ٨/١٠٤ ، ١٠٥

(١٧١) ف : متضمنا

(١٧٢) ابو السعود : ٨/١٠٥

(١٧٣) و هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الوسي ، ابو حامد (٤٥٠ / ٥٠٥) ، حجة الإسلام . فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف . مولده و وفاته في طابران (قصبة طوس بخراسان) رحل الي نيسابور ثم الي بغداد و الحجاز و بلاد الشام فمصر . و عاد الي بلدته . نسبته الي صناعة الغزال او الي غزالة . (الزركلي : الأعلام ، ٧/٢٤٧.٢٤٨)

: الإيمان مشترك(٦ /ب) بين التصديق اليقيني و التقليدي [١٧٤] في المجزوم به و التصديق مع العمل به [١٧٥] . و علي الأول لا يقبل الزيادة و النقصان و علي الآخرين يقبلهما . و قيل إنّ نفس الإيمان لكونه عبارة عن التصديق القلبي لا يقبل الزيادة و النقصان ، و إنما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به [١٧٦] ، فإنه كلما نزل آية صدق المؤمن بها فزاد إيمانه عددا . و قيل باعتبار أنّ الأعمال تجعل من الإيمان فيزيد بزيادتها . و التحقيق أنّ نفس التصديق يقبل الشدة و الضعف . و اليقين يتفاوت الي مراتب بعضها أقوي من بعض ، كعلم اليقين و عين اليقين و حق اليقين . فإنّ يقين آحاد الأمة من المرتبة الأولي و امّا يقين الأنبياء و ا رباب المكاشفة فمن [١٧٧] المرتبة الثانية او الثالثة علي حسب مراتبهم في الكشف و المشاهدة ، و ليس الخبر كالعيان [١٧٨] .

و بيانه أنّ المعاني التي يتصف بها القلوب قد يجعل الله تعالي علامات من خارج تدل علي حصولها في نفوس من يشاء [١٧٩] من عباده و [١٨٠] يسمي تلك العلامة باسم ذلك المعني ليعلم أنّ تلك العلامة لحصول ذلك المعني نصبت مثل قوله تعالي في تابوت بني إسرائيل " فِيهِ سَكِينَةٌ من ربِّكُمْ " [١٨١] و هو كان صورة علي شكل حيوان من الحيوانات و كانت إذا هفت او ظهرت منها حركة خاصة نصروا فسكن قلوبهم عند الرأية تلك العلامة من تلك الصورة التي سمّاها سكينة . وإنما السكينة المعلومة محلها القلوب ، فلم يجعل لهذه الأمة علامة خارجة عنهم علي حصولها ، و إنما علامة حصولها في قلوبها هي حصول عينها ، فلا يكون [١٨٢] ذلك الاّ عن مطالعة او مشاهدة تنزل عليهم و هم

---

(١٧٤) ش : و التقليد
(١٧٥) احياء علوم الدين : ١/١٢٥ ، ١٢٦
(١٧٦) ش ، س : باعتبار زيادة المؤمن
(١٧٧) الأصل ، ف : من
(١٧٨) س : الحق اولي من العين كما ان العين اقوي من العلم .
(١٧٩) س : شاء
(١٨٠) م : و بها ؛ ش ، س : و ربما
(١٨١) البقرة (٢) : ٢٤٨
(١٨٢) م ، ش ، س : و لا يكون

مؤمنون فينقلبهم نزولها [١٨٣] عن رتبة ما كانوا به مؤمنين و هو مرتبة علم اليقين الي مقام معاينة ذلك ، و هو تضاعف إيمانهم بالعيان و هو المراد بالإزدياد .

و فوق هذا الكلام و هو أن الإيمان " كشَجَرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ " [١٨٤] في ارض القلب " و فَرعُها فِي السَّماءِ " [١٨٥] ، تنمو وتنبت و تزيد في الأقطار [١٨٦] و تسقي بماء ينابع الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة . " اِليْهِ يَصعَدُ الكَلِمِ الطيِّبُ و العملُ الصالحُ يرفَعُه " [١٨٧] . و تفصيله أن للإيمان وجودا في الأعيان و وجودا [١٨٨] في الأذهان و وجودا في العبارة . و لا ريب أن الوجود العيني لكل شيء هو الأصل ، و باقي الوجودات فرع و تابع للوجود العيني . فالوجود العيني للإيمان هو حصول المعارف الإلهية بنفسها لا بصورها في القلب .

و لا شك أن صور العلمية انوار فايضة من المبدإ الفياض . فإذا حقيقة الإيمان نور حاصل للقلب لسبب إرتفاع الحجاب بينه و بين الحق . و هذا النور قابل للإشتداد و النقص و القوة و الضعف . و كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوي الإيمان و يتكامل . اي[١٨٩] ينبسط نوره في زوايا القلب [١٩٠] فينشرح الصدر (٧/أ)و يطلع علي حقائق الأشياء[١٩١] . و ينكشف له الغيوب و يعرف كل شيء علي ما هو عليه ، فيظهر له

---

(١٨٣) س : بنزولها

(١٨٤) ابراهيم (١٤) : ٢٤

(١٨٥) ابراهيم (١٤) : ٢٤

(١٨٦) م ، ش : في اقطارها

(١٨٧) فاطر (٣٥) : ١٠

(١٨٨) الأصل ، م ، ف : " وجودا في الأعيان و وجودا " : ساقط

(١٨٩) س : الي أن

(١٩٠) ش : " إرتفع حجاب ازداد نور فيقوي الإيمان و يتكامل . أي ينبسط نوره الي زوايا القلب " : ساقط

(١٩١) الأصل ، ش ، س : " الأشياء " : ساقط

صدق الأنبياء عليهم السلام لا سيما أفضلهم في جميع ما أخبر عنه (١٩٢) إجمالا و تفصيلا علي حسب نوره بمقدار انشراح صدره . و ينبعث من قلبه داعية للعمل بكل مأمور به و لإجتناب عن كل محظور فيضاف الي نور معرفته انوار الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة . " يَسْعي نورُهم بينَ أيديهِم و بِأيمانِهِمْ " (١٩٣) ، " نورٌ علي نورٍ يَهدِي اللهُ لنورِهِ مَن يشاءُ " (١٩٤) . و اما الوجود الذهني للإيمان فملاحظة المؤمن و تصوره للتصديق القلبي و ما يتبعه من المعارف و الأنوار و المطالعة له و المراقعة .

و أما الوجود اللفظي فشهادة ان لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله . و لا يخفي(١٩٥) له أن مجرد الوجود (١٩٦) الذهني و كذا مجرد التلفظ بكلمة الشهادة من غير أن يحصل عين الإيمان و النور المذكور لا يفيد كما لا يفيد (١٩٧) للعطشان تصور الماء الزلال و لا التلفظ به . بل لا يصير بمجردهما مؤمنا ، فإن المؤمن اتصف بالإيمان و هو من حصل فيه عين الإيمان بذاته لا من تصوره و حصل فيه صورته . كما أن الصحيح من حصل فيه الصحة ، لا من تصورها و الأ لكان المريض الّذي يتصور الصحة صحيحا . ثمّ إنّ التعبير عمّا في الضمير لما لم يتيسر الأ بواسط النطق المفصح (١٩٨) عن كل خفي المعرب و عن كل مشتبه . كان للتلفظ بكلمة الشهادة و عدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بإيمان المرء و كفره فصح جعل ذلك وما ينحطّ (١٩٩) في سلكه من العلامات .

« وَ لِلّه جُنودُ السَمواتِ وَ الأرضِ » مرتبط بمعني جملة " أنزل السكينة " ، و

---

(١٩٢) ش ، س : اخبروا عنه

(١٩٣) الحديد (٤٧) : ١٢

(١٩٤) النور (٢٤) : ٣٥

(١٩٥) ش ، س : " له " : ساقط

(١٩٦)) الأصل ، م ، ف : " الوجود " : ساقط

(١٩٧)) ش : " كما لا يفيد " : ساقط

(١٩٨)) ش : الفصيح

(١٩٩) ش ، س : ينخرط

داخل(٢٠٠) في حيّز ما أنعم عليهم ، و لهذا لم يفصله عمّا سبق . و المعني : هو الذي أنزل عليكم في المواطن كلها سكينة و طمأنينة و امدكم بجند من السماء كما في وقعة بدر و غزوة الأخزاب ، فأبشروا و لاتصعّروا خدكم و لا تضجروا قلبكم ، فإن لله ما في السموات من الملئكة و العقول المجردة و النفوس الفلكيّة بل الرواح المجردة ، إذ المراد العلويّات . و له ايضا ما في الأرض من السفليّات من الإنس و الجنّ و الوحوش و الطيور ، كلّ مسخّرات بأمره ، يتصرف فيها تصرّف الأمير في الجند ، هيهات أنّي للملك تصرّف في جنده إيجادا و إعداما و إبقاء وإفناء ، " فللّهِ المثلُ الأعْليَ " (٢٠١) . او المراد ليس لكم من الأمر شيء و إنما حسابكم علي الله تعالي ، و انتم جند في الأرض و لله الجنود كل ما في السموات و الأرض ، فهو اعلم بتدبير امرهم كيف ما يشاء فيدفع بعضهم ببعض تارة و يصلح ذات بينهم تارة أخري حسبما يقتضيه الحكم و المصالح . فلا تحزنوا من حرمانكم دخول مكة و لا تكرهوه : " وعسي أن تكرهوا شيأ و هو خير لكم " (٢٠٢) في علم الله (٧/ب) و حكمته .

« وَ كَانَ اللّه » أزلاً و أبداً « عَلِيماً » مبالغاً في العلم لكون علمه تعالي شاملا لجميع المعلومات ، محيطا بها ، سابقا علي وجودها لكونها من صفات الذات . و حظّ العبد العارف من اسم العليم : ان يكون مشغوفا بتحصيل العلوم الدينية سيما المعارف الإلهية التي هي باحثة عن ذاته تعالي و صفاته العلي ، فإنها اشرف العلوم و اقرب الوسائل الي الله تعالي مراقبا لأحواله محتاطا في مصادره و موارده لعلمه بأنه لله تعالي مبالغ في العلم فيعلم ضمائره و يطّلع علي سرائره .

« حَكِيماً » ذي حكمة بالغة و هي عبارة عن كمال العلم و احسان العمل و الإتقان فيه . فهي مركب من صفتين ، إحديهما من صفات الذات و الأخري من صفات الأفعال ، و لذا قد يستعمل بمعني العليم المحكم . و حظّ العارف من هذا الإسم أن يجتهد في تكميل

---

(٢٠٠) الأصل ، م ، ف ، س : و دخل

(٢٠١) النحل (١٦) : ٦٠

(٢٠٢) البقرة (٢) : ٢١٦

القوة النظرية بتحصيل المعارف الإلهية و استكمال القوة العملية بتصفية النفس عن الرزائل و الميل الي الدنيا و الرغبة الي زخارفها ، و الإشتغال بما يوجب الزلفي من الله تعالي حتّي يندرج تحت من في[٢٠٣] قوله تعالي : " و مَن يؤتَ الحِكمةَ فقدْ أوتِيَ خيرًا كثيرًا " [٢٠٤] .

{ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزًا عَظِيمًا } (٥)

« لِيُدْخِلَ » مع ما عطف عليه علة لما دلّ عليه [٢٠٥] قوله تعالي " و لله جنود السموات و الأرض " ، اي فعل ما فعل من تدبير امر الجنود و تسليط بعضهم علي بعض و إمداد المؤمنين في مواطن الحرب بجند من الملئكة مسوّمين ليعرفوا هذه النعمة[٢٠٦] الجليلة فيشكروها [٢٠٧] فيجلبوا بذلك المزيد بأن يدخل الله تعالي « المُؤمِنِينَ وَ المُؤمِنَاتِ » و لما كان إدخال الجنّة جزاء لشكر نعمته تعالي وكان ذلك لا يختصّ بالمؤمنين فقط بل يعمّ المؤمنات ذكر المؤمنات ايضاً [٢٠٨] بخلاف انزال السكينة فإنّ محل السكينة و الثبات إنما هو قلوب الرجال و النساء بمعزل منه فلذا خصّ إنزال السكينة [٢٠٩] بالمؤمنين ، ثمّ إنّ تقديم الإدخال مع تأخيره في الوجود عن التكفير لكونه هو المطلوب[٢١٠] . و التكفير كالطليعة له و الشرف و التقديم للمطالب دون المبادي « جَنَّاتٍ » اي درجات الجنة بحسب [٢١١] تفاوت مراتهم و طبقاتهم [٢١٢] .

---

(٢٠٣) الأصل : " في " : ساقط

(٢٠٤) البقرة (٢) : ٢٦٩

(٢٠٥) الأصل : " عليه " : ساقط

(٢٠٦) م ، ش : النعم

(٢٠٧) الكشاف : ٥٤٢/٣ ؛ النسفي : ٤٨/٤

« تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ » إن اريد بالجنة مجموع الأشجار و الأرض فالمراد من جريان الأنهار من تحتها جريانها من تحت اشجارها ، او نقول أنّ لهذا المجموع تحتاً و[121] هو الأرض و فوقاً و [214] هو الأشجار ، و إن أريد بها الأشجار الملتفة فالأمر ظاهر . و اللام في الأنهار للجنس و اكثر ما يجيء لجمع المحلي باللام و إن كان هو استغراق الآحاد كما حقق في موضعه [215] الا أنه قد يجيء للجنس أيضاً كما غي قوله تعالي " إنما الصَّدقاتُ لِلفُقراءِ " [216]و قوله تعالي " لا يَحِلّ لكَ النِّساءُ " [217] .و كذا لو حلف لايتزوج يحنث بواحدة ، و حقق ذلك في الأصول .

«خَالِدِينَ فِيهَا » حال مقدرة من المفعول اي مقدرين الخلود فيها إذ الخلود لم يتحقق حين الدخول « وَ يُكَفِّرَ عَنْهُم سَيِّآتِهِم » اي يمحو (٨ /أ) عنهم بفضله معاصيهم التي إقترفوها عمدا او جهلا ، و في الضميرين تغليب للمؤمنين علي المؤمنات « وَ كَانَ ذَلِكَ » المذكور من الإدخال و التكفير [218]« عِنْدَ اللّه » كايناً عنده او في علمه و قضائه ، فهو حال قدم علي ذيها ، و هو قوله « فَوْزاً عَظِيماً » لا يكتنه كنهه و لايقادر قدره إذ هو منتهي المطالب و اولي المآرب من جلب المنافع و دفع المضارّ ، و لذا اورده بين العلل[219] علي سبيل الإعتراض [220] حتّي لايغفل عن كونه فوزاً عظيماً عند ربّ العرش العظيم .

---

(٢٠٨) الأصل ، ف : " أيضا " : ساقط

(٢٠٩) الأصل : من " و الثبات إنما هو " الي " فلذا خص إنزال السكينة " : ساقط

(٢١٠) ابو السعود : ١٠٥/٨

(٢١١) الأصل ، م : " بحسب " : ساقط

(٢١٢) الأصل : " و طبقاتهم " : ساقط

(٢١٣) الأصل ، م ، ف : " و " : ساقط

(٢١٤) الأصل : " و " : ساقط

(٢١٥) الأصل ، م ،ش ،س : " موضعه " : ساقط

(٢١٦) التوبة (٩) : ٦٠

(٢١٧) الأحزاب (٣٤) : ٥٢

(٢١٨) ابو السعود : ١٠٥/٨

(٢١٩) الأصل : النعل .(٢٢٠) الأصل ، م : الإعراض

{ وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ . وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ، وَ سَآءَتْ مَصِيراً } (٦)

« وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ و الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ » معطوف علي يدخل و تسببه عمّا ذكر باعتبار أنهم " يَعرِفونَ نِعمةَ اللهِ ثمّ يُنكِرونَها " (٢٢١) فيستحقون العذاب . و لمّا كان المنافقون في هذا المعني اشدّ كانو بالعذاب احقّ قدم علي المشركين . ثمّ إنه كان الظاهر ان يقال : و يدخل المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات جهنم خالدين فيها ، الاّ أنه للتنصيص علي تعذيبهم غيّر الأسلوب معه كونه اوجز وادلّ ، و لأنّ في سلوك مسلك الأيجاز و القصر علي المقصود في بيان حالهم تعجيل لمسائتهم و تبعيد لهم عن ساحة عزّ عن أن يطال الكلام فيهم « الظَّانِّينَ » كل من المشركين و المنافقين ، و فيه و في الضمائر التالية له تغليب للذكور علي الإناث « بِاللّهِ » المحسن في حقّ رسوله و المؤمنين « ظَنَّ » الأمر « السَّوْءِ » حيث كان بيظنّون أن لن ينصره الله و رسله بالغيب ، " ذلِكَ ظَنُّ الّذينَ كفَروا " ، إذ سبقت كلمة الله لعباده المرسلين ، إنهم لهم المنصورون و إنّ جند الله لهم الغالبون .

« عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ » إمّا إخبار بأنه عليهم يدور دائرة الأمر السوء الّذي يظنّونه بالله في حق رسوله (٢٢٣) ، و بهم يحيق مكرهم السيّء حيث حف بهم المكاره و المساوي و أحيطوا بها ولعنو بما قالوا (٢٢٤) ، لا مخرج لهم عنها ، كمثل مركز دآئرة أحاط به محيطها إحاطة تامّة من جميع الجوانب . و امّا دعاء عليهم بأنهم احقّاء بأن يهلكوا في الغمرات و السكرات ، و يدور عليهم دائرة كلّ مكروه و سوء . ثمّ إنّ السوء بالضم و

---

(٢٢١) النحل (١٦) : ٨٣

(٢٢٢) صآد (٣٨) :٢٧

(٢٢٣) ف : رسول الله

(٢٢٤) الأصل ، م ، ف : " بما قالوا " : ساقط . (٢٢٥) الكشاف : ٥٤٢/٣

الفتح لغتان كالكُره و الكَره ، مصدر ساء الاّ أنّ الغالب في المفتوح أن يضاف اليه ما يراد ذمّه من كلّ شيء ، و أمّا المضموم صار كالعلم للشرّ (٢٢٥) .

« وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ » قال القاضي البيضاوي و من تبعه من المفسرين : انّ هذا عطف لما استحقّوه (٢٢٦) في الأخرة علي ما استوجبوه في الدنيا إنتهي (٢٢٧) .و فيه نظر لأنه امّا أن يراد عطف غضب مع ما عطف عليه علي قوله " عليهم دائرة السوء " . فيردّ عليه أنّ استحقاقهم لأن يدور عليهم دائرة السوء لا يختصّ بالدنيا ، لأن كل سوء محيط بهم اين ما كانوا الاّ أنه سيحيط بهم في الأخرة ، و كذا استحقاقهم (٢٢٨) بالغضب و اللعن لا يختصّ بالأخرة لأنهم باؤا (٨ /ب)بغضب علي غضب اين ما كانوا و لعنوا في الدنيا فهم مغضوبون و ملعونون في الدارين لا ينفكون عنها أبداً .

و أمّا أن يراد عطف " و أعدّ لهم " علي " غضب و لعن " ، فيردّ عليه مع ما سبق من أنّ استحقاقهم الغضب و اللعن لا يختصّ بدار دون دار بل يعمّ الدنيا و الأخرة . انّ استحقاقهم لأن يعدّ لهم (٢٢٩) فيها جهنّم ليس في الأخرة لأنهم استحقوا في الدنيا لأن يعدّ لهم في الدنيا عذاب جهنم في الأخرة ، لا انهم يستحقون في الأخرة لأن يعد لهم(٢٣٠) فيها جهنّم ، لأنّ الجنة أعدت فيها اي في الدنيا للمتّقين و النار أعدّت فيها للكافرين ، لا إنّه سيُعد لهم . فالأخرة ظرف للمعد لا للإعداد و إنما الإعداد في الدنيا ، و شتّان ما بينهما . و الجواب أنّ المراد الشق الأول و أنّ المراد بدائرة السوء ما كانوا يتربصونه في الدنيا للمؤمنين من ريب المنون ، فردّ الله عليهم بأنهم هم المستحقون لما يتربصونه بالمؤمنين في الدنيا ، ثمّ عطف عليه قوله " و غضب " الآية ، إيذانا بأنّ

---

(٢٢٦) ش : استحق

(٢٢٧) البيضاوي : ٨٢/٥

(٢٢٨) الأصل ، ف : من " لأن يدور عليهم " الي " و كذا إستحقاقهم " : ساقط

(٢٢٩) ش : " لهم " : ساقط

(٢٣٠) ف : " لهم " : ساقط

استحقاقهم لا يقتصر علي ما يتربصونه بالمؤمنين (٢٣١) ، بل يستحقون الغضب واللعن و جهنّم أيضاً .|

و لكن لما كانوا مرحومين في الدنيا (٢٣٢) بمقتضي الرحمة الرحمانية التي هي إفاضة الوجود وما يتبعها من الكمالات علي القوابل و هي يعمّ المؤمن و الكافر ، لاتفاوت بينهما في ذلك " ما ترى في خلقِ الرحمنِ مِن تفاوُتٍ " (٢٣٣) . و إنما التفاوت في الرحمة الرحيمية التي إفاضة الكمالات المعنوية من المعارف (٢٣٤) الإلهية و الأنوار العالية ، كان في الحقيقة استحقاقهم الغضب و الطرد من رحمة الله في الأخرة ، هذا . ثمّ إنه كان حقّ المعطوفين الأخرين أن يعطفا بالفاء السببية لكون لكل سابقمن هذه المعطوفات علة لاحقة ، لكنه دلّ بالواو علي استقلال كل منها في الوعيد من غير اعتبار سببية بعضها لبعض (٢٣٥) « وَ سَائَتْ مَصِراً » اي جهنّم مرجعاً ، فلبئس ما فعلوا حيث صاروا الي جهنم .

{ وَلِلّهِ جُنودُ السّمواتِ وَالأرْضِ ، وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } (٧)

« وَ لِلّهِ جُنود السّموَاتِ وَ الأرضِ » فكما (٢٣٦) إذا أراد بقوم رحمة أرسل عليهم جنود الرحمة كما للمؤمنين الظانّين بالله حسن الظنّ كذلك اذا أراد بقوم سوء أرسل عليهم جنود العذاب كما للكافرين الظانين بالله ظنّ السوء حيث يدير الله عليهم دائرة السوء باستيصالهم بجنود القهر و العذاب (٢٣٧) . و لهذه الدقيقة أعيد هذه الآية الكريمة و لهذا

---

(٢٣١) الأصل : من " في الدنيا ، ثم " الي " ما يتربصونه بالمؤمنين " : ساقط
(٢٣٢) الأصل ، م ، ف : " الدنيا " : ساقط
(٢٣٣) الملك (٦٧) : ٣
(٢٣٤) ف : من العوارف
(٢٣٥) ابو السعود : ١٠٥/٨
(٢٣٦) ف : فلما

أيضاً غير الأسلوب السابق في وصفه بالعزة في قوله : « وَ كَانَ اللّٰهُ عَزِيزاً حَكِيماً » . العزيز الغالب من قولهم : عزّ إذا غلب و مرجعه الي القدرة ، و قيل عديم المثل فيكون من اسماء التنزيه ، و قيل هو الّذي يتعسر الإحاطة بوصفه و يتعسر الوصول اليه مع أنّ الحاجة تشتدّ اليه . و حظ العارف باسم العزيز أن يعزّ نفسه فلا يشتهيها بالمطامع الدينة و لا يدنسها بالسؤال من الناس و الإفتقار اليهم و يجعلها بحيث يشتدّ اليها إحتياج العباد في الإرفاق (٩ /أ) و الإرشاد .

{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً } (٨)

« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ » جملة مسوقة لتسلية عليه السلام ، اي أبشر ايّها الرسول فإنك بمكانة عندنا او قد أرسلناك الي الناس كافّة بل الي الثقلين ، و لقصد التعميم حذف المرسل اليهم . « شَاهِداً » علي من بعثت اليهم تراقب احوالهم و تشاهد اعمالهم و تتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق و التكذيب ما هم عليه [٢٣٨] من الهدي والضلال و تؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم و عليهم ، و هو حال مقدرة . « وَ مُبَشِّراً » تبشر المؤمنين بالجنة علي الطاعة « وَ نَذِيراً » تنذر الكفار و العصاة بالنار علي كفرهم و معاصيهم .

{ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً } (٩)

« لِتُؤْمِنُوا » أنتم ايها الرسول و امّتك ، و فيه إشارة الي أنه عليه السلام كما بعث

---

(٢٣٧) الرازي : ٨٤/٢٦

(٢٣٨) الأصل ، م ، ف : ما عليهم

لتكميل النفوس الناقصة بعث لتكميل نفسه أيضاً ، و من الأنبياء من بعث الي نفسه فقط(٢٣٩) كما روي عن زيد ابن عمرو بن نوفل (٢٤٠) . و قرأ الأفعال الأربعة بالياء التحتانية « بِاللَّهِ » بوجوده و وحدانيته و سائر صفاته العلي مما يجب عليه و يمتنع عنه تعالي « وَ رَسُولِهِ » و جميع رسله بأنهم مرسلون من عند الله تعالي ، صادقون في جميع ما أخبروا و بلغوا ، فالإضافة للإستغراق « وَ تُعَزِّرُوهُ » و تقوّوه بتقوية دينه و إعلاء كلمته و إحياء سنن (٢٤١) رسوله ، و قرأ " و تُعْزِروه " بضمّ التاء و تخفيف الزاء المكسورة ، و قرأ بفتح التاء وضمّ الزاء و كسرها (٢٤٢) ، و قرأ " و تعزّزوه " بالزائين . « وَ تُوَقِّرُوهُ » و تعظّموه حقّ تعظيمه ، و لا تكونوا كالّذين " ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " (٢٤٣)، و قرأ " وتوقروه " من " أوقر " ، « وَ تُسَبِّحُوهُ » و تنزّهوه من التقايض و جميع ما لا يليق بكبريائه ، « بُكْرَةً » غدوة « وَ أَصِيلاً » عشيًا ، و المقصود استيعاب جميع اليوم بليلة ، او المراد من التسبيح الصلاة ، و من البكرة و الأصيل صلاة الفجر و الظهر و العصر .

---

(٢٣٩) الإصابة : ٣١/٤

(٢٤٠) و هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي القرشي العدوي ، نصير المرأة في الجاهلية و احد الحكماء . و هو ابن عم عمر بن الخطاب . لم يدرك الإسلام ، و كان يكره عبادة الأوثان و لا يأكل مما ذبح عليها . و رحل الي الشام باحثا عن عبادات اهلها ، فلم تستحله اليهودية و لا النصرانية . فعاد الي مكة يعبد الله علي دبن ابراهيم . و جاهر بعداء الأوثان ، فتألب عليه جمع من قريش فأخرجوه من مكة ، فانصرف ال حراء . فسلط عليه عمه الخطاب شبابا لا يدعرنه يدهل مكة . و كان عدوا لوأد البنات . رآه النبي صلي الله عليه و سلم قبل النبوة . و سئل عنه بعدها فقال عليه السلام : يبعث يوم القيامة امة واحدة . : توفي قبل مبعث النبي صلي الله عليه و سلم خمس سنين . (الزركلي ، الأعلام : ١٠٠/٣ ؛ الإصابة : ٣١/٤)

(٢٤١) ف ، س : سنة

(٢٤٢) الأصل ، م ، ف : من " و تعزروه بضم التاء " الي " و ضم الزاء و كسرها " : ساقط

(٢٤٣) الحج (٢٢) : ٧٤

(٢٤٤) و هو خراش بن امي بن ربيعة الخزاعي ثم الكلبي ، شهد المريسع و الحديبية . حلق رأي رسول الله صلي الله عليه و سلم في عمرة القضية . و بعثه رسول الله صلي الله عليه و سلم الي قريش و ارادو قتله فمنعته الأحابش . (الرصابة : ١٠٧/٢ ؛ ابن سعد : ٩٨.٩٦/٢)

(٢٤٥) و هو عثمان بن عفوان بن ابي العاص بن امية (٦٥٦.٥٧٧) من قريش ، امير المؤمنين ذو النورين ، ثالث خلفاء الراشدين و احد العشرة المبشرين . ولد بمكة ، و اسلم بعد البعثة بقليل ،

{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } (١٠)

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ » اي مطلقا علي التوحيد و سائر ما بلغت إليهم علي ما يفيده صيغة المضارع الدال علي الإستمرار ، او تحت الشجرة علي قتال قريش علي ما روي أنه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خواش بن أمية الخزاعي (٢٤٤) رسولا الي أهل مكة فهمّوا به فمنعه الأحابش فرجع فبعث عثمان (٢٤٥) رضي الله عنه فأخبرهم أنه عليه السلام لم يأت لحرب ، و إنما جاء زايراً لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه و قالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل . فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلّي الله عليه و سلّم ، فاحتبسوه عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه السلام : " لا نبرح حتّي ننتقم من الذين أجرموا و كان حقا علينا نصر المؤمنين " (٢٤٦) .

فاجتمع الأصحاب و كانوا ألفا و ثلاث مائة أو أربع مآئة أو خمس مائة ، و بايعهم علي أن يقاتلوا قريشاً و لا يفرّوا عنهم و كان جالسا تحت سمرة او سدرة فبشّرهم الله بأنهم " إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ " (٢٤٧) ، لأنّ مبايعة النبي عليه السلام كانت مبايعة عامّة و هي لا تكون الأ لواحد الزمان خاصة ، وإن واحد الزمان (٢٤٨) هو المظهر الأتم الذي يظهر بالصورة الإلهية في جميع الأكوان ، كما قال عليه السلام : " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ علي صُورتِهِ " (٢٤٩) اي تجلّي و ظهر في نشأة الإنسان الكامل بجميع شيوناته الذاتية و الحروف

فقتل و هو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة . (الإصابة : ٢٢٤/٤ ؛ اعلام : ٣٧٢/٤)

(٢٤٦) الروم (٣٠) : ٤٧

(٢٤٧) احمد بن حنبل : ٣٢٥/٤ ؛ ابن هشام ، سيرة : ٣٢٨/٣، ٣٢٩

(٢٤٨) الأصل : " خاصة ، و إن واحد الزمان " : ساقط

(٢٤٩) البخاري : الإستئذان /١ ؛ مسلم : البر /١١٥ ؛ احمد : ٢٤٤/٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣

العاليات ، و كانت نسخة جامعة لما في العالم و كتابا حاويا " لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً الاّ أحْصيها " (٢٥٠) .

ثمّ هذه الآية الكريمة علي أسلوب " وَ ما رَميْتَ إذْ رميْتَ " (٢٥١)، اي ما يبايعونك حقيقة الّذين يبايعونك صورة ، بل إنما يبايعون الله (٢٥٢) الذي ظهر و تجلي بأحدية جميع الأسماء الإلهية و الحقائق الإمكانية في النشأة المحمودية الجامعة . فاليد الذي فوق أيديهم حين يبايعونك ليس بيدك بل هو : « يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ »و فيه إرشاد الي أنّ من أدب المبايعة إذا أخذ المبايعون يد البايع للبيعة ليقبلوها أن يجعلوا أيديهم تحتها و جعلوها فوق أيديهم . و هذه الجملة حال او استيناف يؤكد مضمون (٢٥٣) الجملة السابقة علي سبيل التخييل لأنه تعالي منزّه عن اليد الحقيقة . و قرأ : "إنما يبايعون الله " اي لوجهه و ابتغاء لمرضاته . ثم إنّ الذين يبايعونك و يأخذون منك الميثاق فامّا ينكثون عهدهم او يوفون به.

« فَمَنْ نَكَثَ » نقض ميثاقه معك « فَإنَّمَا يَنْكُثُ »يعود ضرر نكثه و وخامة عاقبة نقض عهده دائرا « عَلي نَفْسِهِ » و ما عليك الاّ البلاغ ، " فلا يَضُرّكمْ مَن ضَلَّ إذا اهْتَديتُم" (٢٥٤) . « وَ مَنْ أوْفَي بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ » بضمّ الهاء ، فإنه لما حذف واو هو أبقي الهاء مضموما ليكون ذريعة الي تفخيم لام الجلالة في اسم « اللّه » مفعول عاهد « فَسَيُؤْتِيهِ » اي الله مكافئة لإيفاء عهده « أجراً عَظِيماً » لا عينٌ رأتْ ولا أذُن سمِعتْ ولا خطَر علي بالِ بشَرٍ (٢٥٥) .

---

(٢٥٠) الكهف (١٩) : ٤٩

(٢٥١) الأنفال (٨) : ١٧

(٢٥٢) الكشاف : ٥٤٢/٣

(٢٥٣) ش ، س : " الجملة حال أو إستيناف يؤكد مضمون " : ساقط

(٢٥٤) المائدة (٥) : ١٠٥

(٢٥٥) البخاري : بدأ الخلق/٨ ؛ تفسير سورة ٣٢ ؛التوحيد /٣٥ ؛ مسلم : الإيمان /٣١٢ ؛ الجنة/٢٠٥ ؛ الترمذي : تفسير سورة ٢/٣٢ ؛ ابن ماجه : الزهد /٣٩ ؛ احمد : ٣٣٤/٥ .

و اعلم أنّ رسول الله صلي الله عليه و سلم لمّا استنفر من حول المدينة من الأعراب و أهل البوادي ليخرجوا معه الي مكة عام الحديبية معتمرآ حذراً من قريش أن يحاربوه او يصدوه عليه السلام عن البيت ، حتّي أنه عليه السلام [٢٥٦] أحرم و ساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد الحرب . تخلف عنه عليه السلام أعراب غفار و مزينة و جهينة و أشجع و أسلم و تثاقلوا عن الخروج لغلبة شقوتهم و خذلانهم و ضعف عقيدتهم و خوفهم من مقاتلة قريش ، لكنهم اعتلّوا بالشغل بأموالهم و أهاليهم فأوحي الله اليه عليه السلام قبل تعللهم إخباراً بالغيب [٢٥٧] بأنه :

{ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا . يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً . بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً . } (١١)

« سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ » إعتذارا لتخلفهم عنك حين استنفرتهم « شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا » اي قيامنا بمصالح الأهالي و الأموال و إحمايها من الضياع جعلنا مشغولين ، فلم يمكننا التفرغ للخروج معك . و أهلون جمع أهل و قد يجمع علي أهلات كأرضات ، و أمّا الأهالي فاسم جمع كالليالي . « فَاسْتَغْفِرْ لَنَا » ربّك ليغفر لنا خطايانا حيث لم يكن تخلفنا عنك باختيار بل اضطررنا عليه . « يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ » مستأنفة (١٠/أ) مسوقة لتكذيبهم في الإعتذار و الإستغفار .

« قُلْ » في ردّ إعتذارهم الفاسد و تعللهم الكاسد « فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ » اي يقدر لأجلكم « مِنَ اللَّهِ شَيْئاً » من قضاء الله علي قدره علي شيء من النفع « إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

---

(٢٥٦) الأصل : " عن البيت حتي أنه عليه السلام " : ساقط

(٢٥٧) الطبري : تفسير ، ٤٨/٢٦ ؛ واقدي : مغازي ، ٥٧٤/٢ ، ٥٧٥ ؛ ابن هشام : سيرة ، ٣٢٢/٣ .

ضَرّاً » اي شيأ يضركم من أهلكم ما تخلّفتم عن الخروج لأجل حفظه و دفع ضرّه « أوْ أرادَ بِكُمْ » اي ومن يقدر علي شيء من الضر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم و أهليكم . و الإستفهام إنكاري ، اي لامالك للنفع إن أراد الله بكم ضرا و لا مالك للضر إن أراد الله بكم نفعا ، وتخلفكم لأجل حفظها ممّا (٢٥٨) لا حاجة اليه ، فهذا الكلام بيان لفساد مقالتهم الكاذبة علي سبيل التنزل و تقدير صدقها كما انّ قوله تعالي « بَلْ كَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ » من الأعمال التي من جملتها تخلفكم و ما هو من مقدماته « خَبِيراً » بيان لكذب مقالتهم بالإضراب عنها ، و الخبير العليم ببواطن الأشياء من الخبرة و هو العلم بالخفايا الباطنة ، وقيل هو التمكن من الأخبار بما (٢٥٩) علمه .و حظ العارف من هذا الإسم أن لا يتغافل عن بواطن احواله و يشتغل بإصلاحها و تلافي ما يحدث (٢٦٠) فيها من المقابح (٢٦١) |

{ بَلْ ظَنَنْتُمْ أنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ الي أهْلِيهِمْ أبَداً وَ زُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ، وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً } (١٢)

« بَلْ ظَنَنْتُمْ » بدل من " كان الله " لما فيه من الإبهام اي بل زعمتم « أنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ » اي لن يرجعوا من هذه الغزوة « إلي أهْلِيهِمْ أبداً » زعما منكم بأنّ المشركين يستأصلونهم فخشيتم أن يصيبكم ما أصابهم إن كنتم معهم ، فلذلك تخلفتم لا لما ألقيتم من المعاذير الفاسدة « وَ زُيِّنَ ذٰلِكَ » المذكور من التخلف و الظنّ المذكور « فِي قُلُوبِكُمْ » فحسبتم أنكم تحسنون صنعا .

و حذف الفاعل و إسناد الفعل الي المفعول إمّا لأنه معلوم من أنّ فاعله (٢٦٢) هو

---

(٢٥٨) الأصل ، م ،ف : بما

(٢٥٩) ف : مما ؛ ش ، س : عما

(٢٦٠) الأصل ، ش : بالحدث

(٢٦١) م ، ف ، ش : المفاتح

(٢٦٢) س : " أن فاعله " : ساقط

الله [٢٦٣] أو لكون المقصود بيان تعلق الفعل بالمفعول . « وَ ظَنَنْتُمْ » في أن لن ينقلب الرسول و المؤمنون « ظَنَّ » الأمر « السَّوْءِ » فالتكرير للتسجيل عليهم بالسوء او لتشديد التوبيخ [٢٦٤] و المراد ظننتم في جميع ما تظنونه بالله و رسوله من الظنون الفاسدة و الأمور الزايغة « وَ كُنْتُمْ » أزلا في علم الله في عالم الأعيان الثابتة « قَوْماً بُوراً » فاسدين مستوجبين بسخط ، فما يصدر عنكم من الخبائث ليس الا من مقتضيات عينكم الثابت ، إذ الخبيثات للخبيثين ، و بورا جمع بائر كعوذ جمع عائذ او من بار كالهلك من هلك بناء و معني ، و من ثمة يستوي فيه الواحد و الجمع و التذكير و التأنيث [٢٦٥] .

{ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا } (١٣)

« وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ » جملة مسوقة لتقرير بوارهم و مبينة لكيفيته غير داخل في الكلام الملقن ، اي و من لم يصدق « بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ » بل ظَنّ بالله الظنون و اختلط به الشيون كما فعله هؤلاء المخلفون « فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ » من وضع الظاهر موضع الضمير اي لهم للتنصيص علي أن من لم يجمع بين الإيمان بالله و رسوله فهو كافر[٢٦٦] و انّ استحقاقهم العذاب السعير [٢٦٧] لكفرهم (١٠ /ب)علي ما يفيده ترتب الحكم [٢٦٨] علي ما له صلوح العلية « سَعِيراً » اسم لدرك من دركات النار أعدت للشياطين و من تبعهم ، او المراد مطلق النار ، و التنكير [٢٦٩] للتهويل و التعظيم ، و لهذا عدل في " إنّا أعتدنا " من ضمير الغائب الي نون العظمة .

---

(٢٦٣) الأصل ، م ، ف : " الله " : ساقط
(٢٦٤) ف ، ش : او التشديد في التوبيخ
(٢٦٥) ابو السعود : ١٠٧/٨
(٢٦٦) الكشاف : ٥٤٤/٣
(٢٦٧) ش ، س : لعذاب السعير
(٢٦٨) الأصل : تركب الحكم
(٢٦٩) م ، ف ، ش ، س : و تنكيره

{ وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّمـوَاتِ وَ الأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً } (١٤)

« وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ وَ الأَرْضِ » لا معقب لحكمه و لا رادّ لقضائه ، يتصرف فيها وما فيها كيف يشاء « يَغْفِرُ » ما دون الشرك « لِمَنْ يَشَاءُ » مغفرته « وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ » تعذيبه من الكفار و العصاة من غير أن يجب شيء منهما عليه او منه ، ثم إن عفوه تعالي عمّن يشاء و تعذيبه لمن يشاء إنما هو بالعرض لمقتضي قهر الملك (٢٧٠) و السلطنة و السياسة الإلهية ، و ليس له تعالي ذلك من ذاته كيف . « وَ كَانَ اللّهُ » في ذاته أزلا و أبدا « غَفُوراً رَحِيماً » و ما (٢٧١) بالذات اسبق و اولي ممّا بالعرض كما قال في الحديث : " سبَقتْ رحْمَتي علي غضَبِي " (٢٧٢) هذا .

و الغفور كثير المغفرة و هي صيانة العبد عما استحقه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس ، والغفّار أ بلغ منه لزيادة بنائه . و قيل الفرق بينهما إنّ المبالغة فيه من جهة الكيفية و في الغفهار باعتبار الكمية . و حظ العارف منها أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ، و لا يفشي منه الاّ احسن ما فيها(٢٧٣) و يتجاوز عمّا يندر عنه و يكافي المسيء اليه بالصفح و الإنعام عليه . و الرحيم فعيل من رحم ، كالعليم من علم ، و معناه المبالغ في الرحمة ، و هي في (٢٧٤) اللغة رقة في القلب و انعطاف يقتضي التفضل و الإحسان علي من رقّ له . و اسماء الله

---

(٢٧٠) الأصل ، م : انما هو العرض بمقتضي القهر الملك

(٢٧١) م : " ما " : ساقط

(٢٧٢) البخاري : التوحيد/١٥ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٥٥ ؛ بدأ الخلق/١ ؛ مسلم : التوبة/١٤ ، ١٦ ؛ الترمذي : الدعوات/٩٩٠ ؛ ابن ماجه : المقدمة/١٣ ؛الزهد/٣٥ ؛ احمد : ٢/٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٣١٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٤٣٣ ، ٤٦٦ .

(٢٧٣) ش : فيه . (٢٧٤) الأصل : " في " : ساقط

اللغة رقة في القلب و انعطاف يقتضي التفضل و الإحسان علي من رقّ له . و اسماء الله تعالي و صفاته إنما تؤخذ باعتبار الغيات التي هي افعال دون المبادي [٢٧٥] التي هي إنفعالات ، فرحمة الله تعالي علي العباد إما إرادة الإنعام عليهم و دفع الضر عنهم فتكون من صفات الذات ، او نفس الإنعام [٢٧٦] و الدفع ، فيعود الي صفات الأفعال .

و حظ العارف من اسم الرحمن و الرحيم أن يتوجه بشراشره الي جناب قدسه فيتوكل عليه و يلتجئ فيما يعنّ اليه و يشغل سره بذكره و الإستمداد به عن غيره لما فهم منهما أنه المنعم الحقيقي المولي للنعم كلها عاجلها و آجلها ، و يرحم عباد الله فيعاون المظلوم و يصرف الظالم و يدفع عنه ظلمه بالطريق الأحسن و الوجه الأجمل [٢٧٧] و ينبه الغافل و ينظر الي العاصي بعين الرحمة دون الإزراء و يجتهد في إزالة المعاصي [٢٧٨] و إزاحتها علي أحسن ما يستطيعه من الطرف و يسعي في سد خلة المحتاجين بقدر [٢٧٩] وسعته و طاقته .

{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ الي مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ . قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ، فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا . بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} (١٥).

« سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ » روي أنه عليه السلام لما رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست و أقام بالمدينة بقيتها و أوائل المحرم من سنة سبع غزا خيبر بمن شهد الحديبية

---

(٢٧٥) الأصل : " هي أفعال دون المبادي التي " : ساقط

(٢٧٦) الأصل ، م : و انفس الإنعام

(٢٧٧) م : الأجلّ

(٢٧٨) الأصل : " المعاصي " : ساقط

(٢٧٩) ف : بمقدار

ففتحها و غنم أموالا كثيرة فخصها الله بهم حسبما وعده و حين ما استعدوا للإنطلاق الي هذه الغزوة استشعر المخلفون من الأعراب الفتح و النصرة فجائوا رسول الله صلي الله عليه و سلم و طلبوا الإتباع (١١/أ) في هذه الغزوة فأخبر الله تعالي به رسول الله صلي الله عليه و سلم قبل وقوعه حيث أوحي اليه أن المخلفون المذكورين سيقولون لك فيما يستقبل(٢٨٠) « إِذَا انطَلَقْتُمْ » ، "إذا "هذه ظرفية لا شرطية ، و عامله ما قبله اي يصدر هذا القول منهم وقت إنطلاقكم و مسيركم متوجهين « إِلَي » فتح قلاع خيبر « مَغَانِمَ » كثيرة « لِتَأْخُذُوهَا » لأجل أخذها منهم عنوة و قهرا عوضا مما فاتكم من غنايم مكة ، حسبما وعدكم الله إيّاها « ذَرُونَا » أتركون بحالنا و لا تصدّونا عن الخروج معكم فإنا « نَتَّبِعْكُمْ »في هذه الغزوة و نشهد معكم قتال أهل خيبر تلافيا عما فطر منّا من التخلف سابقا .

« يُرِيدُونَ » بهذه الطلب و الإتباع (٢٨١) « أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ » اي خطابه الأزلي (٢٨٢) و حكمه القديم بالوعد باختصاص غنايم خيبر لأهل الحديبية ، فهم و إن كان مرادهم المشاركة في غنايم خيبر الا أنها لما كانت مخصوصة بمقتضي الوعد بأهل المدينة فلم يصادف إرادتهم في نفس الأمر الا بتبديل حكم الله مع أنه " ما يبدل القول لديّ" (٢٨٣) ، أمره (٢٨٤) واحد و حكمه واحد (٢٨٥) ليس الا « قُلْ » لهم في ذلك الوقت « لَنْ تَتَّبِعُونَا » في هذه الغزوة او في جميع الغزوات كما هو الملايم لقوله تعالي : " لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبداً " (٢٨٦) ، و إن كان واردا في غزوة تبوك فإن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم علي تقرر في محله « كَذَلِكُمْ » المذكور من أنكم لن تتبعونا « قَالَ

---

(٢٨٠) واقدي : مغازي ، ٦١٩/٢

(٢٨١) ش : و الإبتلاع

(٢٨٢) م : خطاب الأزلي

(٢٨٣) سورة قاف : ٢٩/٥٠

(٢٨٤) م : امر

(٢٨٥) ش : " واحد " : ساقط

(٢٨٦) التوبة (٩) : ٨٣

اللَّهُ مِنْ قَبْلُ » اي أخبرنا الله تعالي به (٢٨٧) قبل وقوعه حين ما انصرفنا من الحديبية ، فما أخبر الله تعالي به يستحيل خلافه فيمتنع أن تتبعونا ، فلن تتبعونا ألبتة ، فيؤس قنوط . و قد يقال هذا نفي (٢٨٨) في معني النهي اي لاتتبعونا (٢٨٩) ، كذلك المذكور من أن نهيكم عن الإتباع قال الله تعالي من قبل(٢٩٠) و أمرنا بنهيكم عنه . « فَسَيَقُولُونَ » لكم عند سماع هذا الجواب منك ، ليس الأمر كما قلتم من أنه تعالي أخبر عدم إتباعنا إذ أمركم بنهينا عن الإتباع ، و كل ذلك تعليل (٢٩١) منكم (٢٩٢) « بَلْ تَحْسُدُونَنَا » إن نشارككم في أخذ الغنايم (٢٩٣) .

الحسد : هو إرادة زوال نعم الله تعالي عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح ، فإن لم تريد زوالها عنه لكن تريد لنفسك مثلها (٢٩٤) فهو غبطة (٢٩٥). و علي هذا يحمل قوله عليه السلام : " لا حسد الأ في اثنتين " (٢٩٦) الحديث ، اي لا غبطة الأ في ذلك ، فعبر عن الغبطة بالحسد إتساعا لمقارتهما ، فإن لم يكن له فيها صلاح فأردت زوالها عنه(٢٩٧) فذلك عبرة . و ضد الحسد النصيحة ، وهي إرادة نعم الله تعالي علي أخيك المسلم فيما له فيها صلاح .

---

(٢٨٧) الأصل ، م ، ف : "به" : ساقط

(٢٨٨) الأصل ، م ، ف : "نفي" : ساقط

(٢٨٩) ابو السعود : ١٠٨/٨

(٢٩٠) ش ، س : " الله تعالي من قبل " : ساقط

(٢٩١) م ، ف ، ش : تعلل

(٢٩٢) ش : منك

(٢٩٣) ف : في هنا

(٢٩٤) الأصل ، م ، ف : تريد زوال نفسك مثلها . (و هو خطأ) .

(٢٩٥) الأصل : فغبطة

(٢٩٦) البخاري : التمني/٥ ؛ التوحيد/٤٥ ؛ العلم/١٥ ؛ الزكوة/٥ ؛ الأحكام/٣ ؛ احمد : ٩/٢

(٢٩٧) الأصل ، م : " عنه " : ساقط

ولما ظنوا برسول الله و المؤمنين الحسد الذي هو بمراحل عن ذلك الجناب (٢٩٨) المنزه عليه السلام ، غضب الله عليهم وقال ردا لقولهم الباطل « بَلْ كَانُوا » في أنفسهم أزلا بمقتضي أعيانهم الثابتة متصفين بما هو أقبح و أردأ من الحسد ، و هو (١١ /ب) الجهل المفرط و سوء الفهم في أمر الأخرة لأنهم « لاَ يَفْقَهُونَ » و لا يعلمون « إِلاَّ قَلِيلاً » الأ علما قليلا لأنهم إنما " يعلمون ظاهِراً مِن الحياةِ الدُّنيا " (٢٩٩) ، " ذلك مبلغهم من العلم " (٣٠٠) ، إذ " هم كَالأنْعامِ بلْ هم أضَلّ سبِيلاً " (٣٠١) . " فإِذا رَأيتَهمْ تُعجِبك أجسامُهم و إنْ يقولُوا تَسمعْ لِقولِهم ، كأنّهم خشُب مسنّدةٌ " (٣٠٢) .

{ قُلْ لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلي قَوْمٍ أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ . فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً ، وَإِنْ تَتَوَلَّوا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُم عَذَاباً أَلِيماً } (١٦)

« قُلْ لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ » اي المتسمين بهذه السمة السيئة اللازمة لماهيّتهم الصنفية غير منفكة عنها ، ففيه مبالغة في ذمهم و لهذا أعادهم (٣٠٣) بهذا العنوان مع كون المقام مقام (٣٠٤) الضمير (٣٠٥) ، و المراد : قل لهم إن اشتهيتم الخروج مع المؤمنين لقتال أعداء الدين فلا تعجلوا و تهيّأوا فإنكم « سَتُدْعَوْنَ » فيما يستقبل « إِلَي » قتال

(٢٩٨) الأصل : عنه ؛ ش ، س : عن ذلك الخبائث
(٢٩٩) الروم (٣٠) : ٧
(٣٠٠) النجم (٥٣) : ٣٠
(٣٠١) الأعراف (٧) : ١٧٩
(٣٠٢) المنافقون (٦٤) : ٤
(٣٠٣) ش : عادهم
(٣٠٤) الأصل : " مقام " : ساقط
(٣٠٥) ف : مقام المضمر

« قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ » هم إمّا بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن إرتدوا بعد رسول الله صلي الله عليه و سلم و الداعي هو أبو بكر (٣٠٦) رضي الله عنه ، و لهذا استدل بهذه الآية الكريمة علي خلافته (٣٠٧) ، إذ لا يجب إجابة الداعي إذا لم يكن إماماً و خليفة .و اما المشركون يؤيده قوله تعالي « تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ » لأن وجوب احد الأمرين امّا المقاتلة او (٣٠٨) الإسلام إنما هو بالنسبة الي المرتدين و المشركين و امّا من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية أيضا .

و قيل هم فارس و الروم ، و الداعي هو عمر (٣٠٩) رضي الله عنه ، فمعني " يسلمون " حينئذ "ينقادون " لأن الروم نصاري و فارس مجوس تقبل منهم الجزية . و قرأ " او يسلموا " بالنصب علي أن يكون او بمعني الي أن . و قيل المراد بقوم أولي بأس شديد ثقيف و هوازن ، فإن صح ذلك فيخص دوام نفي (٣١٠) الإتباع (٣١١) بما في غزوة خيبر ، لأن ذلك وقع في عهد النبي عليه السلام « فَإِنْ تُطِيعُوا » أمر ذلك الداعي الي قتال قوم اولي بأس شديد « يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً » هو الجنة إن قُتلتم و الغنيمة إن قَتلتم .

---

(٣٠٦) هو عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي ، ابو بكر (٥٧٣ . ٦٣٤) .اول الاخلفاء الراشدين و اول من آمن برسول الله صلي الله عليه و سلم من الرجال . ولد بمكة و نشأ سيدا في سادات قريش ، و عالما بأنساب القبايل و أخبارها و سياستها . و بويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلي الله عليه و سلم . مدة خلافته سنتان و ثلاثة اشهر و نصف شهر . و توفي بالمدينة (١٣ ه) . (اسد الغابة في معرفة الصحابة :٢٥٥/٣ ؛ الإصابة :١٠١/٤ ؛ الأعلام : ٢٣٧/٤)

(٣٠٧) الكشاف : ٥٤٥/٣

(٣٠٨) ش ، س : و

(٣٠٩) و هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ابو حفص (٥٨٤ . ٦٤٤) . ثاني الخلفاء الراشدين ، و اول من لقب بأمير المؤمنين . و هو احد العمرين الذين كان النبي صلي الله عليه و سلم يدعو ربه ان يعز الإسلام بأحدهما . اسلم قبل الهجرة بخمس سنين . و بويع بالخلافة يوم وفاة ابي بكر رضي الله عنه (١٣ ه) . لقبه النبي صلي الله عليه و سلم بالفاروق . قتله ابو لؤلؤة فيروز الفارسي (٢٣ ه) (الإصابة :٢٨٩/٤ . ٢٩٠ ؛ الأعلام : ٢٠٣/٥ . ٢٠٤)

(٣١٠) ف : " نفي " : ساقط

(٣١١) س : دوام نفي الإتباع

« وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا » عن إجابة ذلك الداعي و استنفرتم عن النفر معه " كحُمرٍ مستَنفِرة فرَّت مِن قَسورة " (٣١٢) « كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ » و خرجتم معنا الي الحديبية و تعللتم بالعلل الفاسدة « يُعَذِّبْكُمْ » الله « عَذَاباً أَلِيماً »اي مولما ، يقال ألمَ و هو أليم كوَجِعَ و هو وجيع ، وصف به العذاب للمبالغة كما في قولهم : تحية بينهم ضرب وجيع علي طريقة : جدَّ جده ، فإن الألم و الوجع حقيقة للمولم و المضروب كما أنَّ الجد للجادّ . و قيل هو بمعني مُولم كالسميع بمعني مُسمع ، وليس ذلك يثبت .

{ لَيْسَ عَلَي الأَعْمَي حَرَجٌ وَ لاَ عَلَي الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لاَ عَلَي المَرِيضِ حَرَجٌ . وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار . وَ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً } (١٧)

« لَيْسَ عَلَي الأَعْمَي حَرَجٌ » في التخلف عن الغزوة « وَ لاَ عَلَي الأَعْرَجِ حَرَجٌ » فيه « وَ لاَ عَلَي المَرِيضِ حَرَجٌ » . تكرار الحرج و سلبه عن كل من الطوايف المذكورة علي حدة لتوسيع دائرة الرخصة عليهم و مزيد الإعتناء بشأنهم (و للتنصيص بأن كلاً من وصف العمي و العرج و المرض علة مستقلة في نفي الحرج بدون إنضمام الآخر ، لأن كلاً منها مانع بالتكليف المنوط بالإستطاعة .

« وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ » بإمتثال أوامره و الإجتناب عن نواهيه « وَ رَسُولِهِ » بأن أخذ ما آتاه الرسول و انتهي عمّا نهاه (١٢ /أ) « يُدْخِلْهُ » الله ، و قرأ بنون العظمة « جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ » خالدا فيها (٣١٤) و آمنا ، « وَ مَنْ يَتَوَلَّ » عن طاعة الله و رسوله « يُعَذِّبْهُ » الله ، وقرأ بالنون « عَذَاباً أَلِيماً »لا يكتَنّ كنهه و هذه الجملة كالفذلكة لما قبله و التعليل له إذ الوعيد للمخلّفين و نفي الحرج عن الطوايف الثلاث إنما

---

(٣١٢) المدثر (٧٣) : ٥٠.٥١

(٣١٣) ابو السعود : ١٠٩/٨

(٣١٤) ش : خالدين

هو لعدم إطاعة الأولين و توليهم ، وإطاعة الآخرين و انقيادهم .

{ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً } (١٨)

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ » جملة مسوقة لتتميم مسرة الذين خرجوا مع رسول الله صلي الله عليه و سلم الي الحديبية و تكميل حسرة المخلفين من تلك الغزوة ، إذ "رِضوانٌ مِن اللهِ اكبَرُ" (٣١٥) من الدنيا و ما فيها ، و قد حصل للأولين (٣١٦) و فات عن الآخرين . و رضاء الله من العبد أن يرضي العبد من الله تعالي كما قال تعالي : " رَضِيَ اللهُ عَنهمْ و رَضـوا عنه " (٣١٧) ، و مقام الرضي مفتاح مغالق باقي (٣١٨) المقامات و أشقّ منازل السالكين .

و في الحقيقة لكل (٣١٩) مقام من مقامات العارفين باب ينفتح الي عالم اللاهوت و الرضاء أعظمه ، و لهذا قيل الرضاء باب الله الأعظم و جنة الدنيا و حقيقته ترك العبد رضاء نفسه لأجل رضاء الله تعالي ، و علامته أن يتساوي عنده النعمة و البلاء و الشدة و الرخاء . و لهذا قالت رابِعةُ العَدَوية (٣٢٠) : " إنما يتحقق العبد بمقام الرضا إذا سرته

---

(٣١٥) التوبة (٩) : ٧٢/٩

(٣١٦) الأصل : " للأولين " : ساقط

(٣١٧) المنتكين (٩٨) : ٨

(٣١٨) الأصل ، م ، ف : " باقي " : ساقط

(٣١٩) الأصل ، م ، ش ، س : كل

(٣٢٠) و هي رابعة بنت اسماعيل العدوية ، ام الخير (و : ١٣٥ هـ ، ٧٥٣ م .) . مولاة آل عتيك ، البصرية ، صالحة مشهورة من اهل البصرة و مولودها بها . لها اخبار بالعبادة و النسك . و لها شعر . من كلامها : " اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم ." ترفيت بالقدس . قال ابن خلقان : " و قبرها يزار ، و هو بظاهر القدس من شرقيه ، علي رأس جبل يسمي الطور ." و قال : وفاتها سنة ١٣٥ ، و قال غيره سنة ١٨٥ . (الزركلي ، الأعلام : ٣١/٣)

المصيبة كما سرته النعمة " . و قيل لبايزيد البسطامي [٣٢١] : ما تريد ؟ قال : " أريد[٣٢٢] أن لا أريدَ " [٣٢٣] . و التحقق بهذا المقام كان غالبا علي النشأة الموسوية كما يدل عليه قوله تعالي في قصة موسي عليه السلام حيث قال : " و ما أعْجلكَ عن قَومِك يا موسي . قال هُم أولاءِ علي أثري و عجِلتُ اليْك ربِّ لِترضَي " [٣٢٤] . و من علامته أيضا أن لا يجد العبد علي نفسه حرجا مما قضي الله تعالي و يسلمه تسليما ، و يكون رضاه و إرادته متلاشية و مضمحلة في رضاه تعالي فيستحق بمقام " ما تشاؤن الا أن يشاء الله " [٣٢٥] حتي يرجع الي ربه راضية مرضية .

و قوله تعالي « إِذْ يُبَايِعُونَكَ » ظرف لرضي ، و العدول عن الماضي الي صيغة المضارع الحالية لاستحضار الصورة البديعة ، و قوله تعالي « تَحْتَ الشَّجَرَةِ » ظرف للمبايعة [٣٢٦] ، او متعلق بمحذوف هو حال من مفعوله . و هذه الآية الكريمة تسمي بيعة الرضوان ، و كيفية وقوع هذه البيعة و قصتها قد ذكرنا فيما سبق . « فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ » من الصدق و الإخلاص حين مبايعتهم له عليه السلام ، و الجملة معطوفة علي يبايعونك باعتبار المعني لكونه في معني بايعوك [٣٢٧] ، و لا يصلح عطفه علي رضي ، لأن رضاه تعالي متأخر [٣٢٨] عن علمه مما في قلوبهم لا سابق عليه . « فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ »

---

(٣٢١) و هو طيفور بن عيسي البسطامي ، ابو يزيد ، و يقال بايزيد (١٨٨ . ٢٦١ ه . / ٨٠٤ . ٨٧٥ م .) . زاهد مشهور ، له اخبار كثيرة . كان ابن عربي يسميه " ابا يزيد الأكبر " . نسبته الي بسطام ، اصله منها . و وفاته فيها . قال المناوي : و قد افردت ترجمته بتصانيف حافلة . و في المستشرقين من يري انه كان اول قائل بوحدة الوجود . و يعرف اتباعه بالطيفورية او البسطامية . (الأعلام : ٣/٣٣٨ . ٣٣٩ ؛ حلية : ١٠/٣٣.....٤٠)

(٣٢٢) ش : " أريد " : ساقط

(٣٢٣) حلية : ١٠/٣٩ (لا اريد من الله الا الله)

(٣٢٤) طه (٢٠) : ٨٤

(٣٢٥) الإنسان (٧٦) : ٣٠

(٣٢٦) ش : للمبالغة

(٣٢٧) ف : يبايعونك

(٣٢٨) الأصل ، م ، ف : متأخرة

و الطمـأنينة و الأمن و سكون النفس « عَلَيْهِمْ » بالربط علي قلوبهم ، و هذه الجـملة معطوفة علي جملة " رضي " الآية ،لأن إنزال السكينة مترتب علي الرضا كترتب الرضا علي علم [٣٢٩] ما في قلوبهم « وَ أثابَهم (١٢ /ب) فَتْحاً » عظيما هو فتح قلاع خيبر في ايام قلايل ، « قَرِيباً » من بيعة الرضوان لما مر من أنه صلي الله عليه و سلم لما رجع من بالحديبية ما أقام بالمدينة الا بقية ذي الحجة و في اوائل محرم غزا نحو قلاع خيبر[٣٣٠] .|

{ وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } (١٩)

« وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً » و أثابهم أيضا غنائم كثيرة من ايّ جنس من الصامت و الناطق ، و الإلتفات الي الخطاب علي قرائة الأعمش [٣٣١] و طلحة [٣٣٢] في [٣٣٣] قوله « يأخذونها » لتشريفهم في مقام الإمتنان و التصريح بذلك الأخذ مع أن إثابة المغانم الكثيرة إيّاهم يستلزم أخذهم إياها لتنشيطهم ، و التصريح بأن أخذهم إياها مقرون برضاء الله و إذنه ، « وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزاً » غالبا علي الإطلاق « حَكِيماً » مشتملا أفعاله و قضاياه علي الحكم و المصالح ، فلعزته يفعل ما يشاد و لحكمته يحكم ما يريد .

---

(٣٢٩) الأصل ، ف : " علم " : ساقط

(٣٣٠) واقدي : مغازي ،٦١٩/٢

(١٣١) و هو سليمان بن مهران الأعمش ابو محمد ، الأسدي ، الكوفي ، الإمام الجليل . ولد سنة ستين . اخذ القرائة عن ابراهيم النخعي ...، و روي القرائة عنه حمزة الزيات .... قال هشام : ما رأيت بالكوفة احدا أقرأ كتاب الله تعالي عز و جل من الأعمش . مات في ربيع الأول سنة ١٤٨ ه. (ابن الجزري ، طبقات القراء : ٣١٥/١، ٣١٦)

(٣٣٢) و هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب ، ابو محمد ، و يقال ابي عبد الله الهمداني الكوفي . تابعي كبير ، له اختيار في القرائة ينسب اليه . اخذ القرائة عن ابراهيم بن يزيد النخعي و الأعمش ، و هو أقرأ منه و أقدم . و مات سنة ١١٢ ه . قال عبد الله بن ادريس : كانوا يسمونه " ابو القراء . (ابن الجزري . طبقات القراء : ٣٤١/١) .

(٣٣٣) م ، ش ، س : " علي قراءة الأعمش و طلحة " : ساقط

{ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً } (٢٠)

« وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً » جملة مسوقة لبيان أن ما أثابهم الله من المغانم الكثيرة ليس مقصورا علي ما في هذا الفتح القريب بل وعدهم الله أن يثيبهم مغانم كثيرة هي ما أفاء الله علي المؤمنين الي يوم القيامة « تَأْخُذُونَهَا » أخذا مستمرا الي قيام الساعة ، « فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ » الغنايم التي نلتم إليها في فتح قلاع خيبر ليكون لكم عجالة نافعة و علالة رابعة ، « وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ » الذين كانوا لكم أعداء « عَنْكُمْ » حتي انّ خلفاء اهل خيبر من بني أسد و غطفان جاؤا لإمدادهم [334] فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا علي أعقابهم [335].

« وَ لِتَكُونَ » الواو اما إعتراضية و اللام متعلقة بمحذوف ، اي فعل ما فعل من التعجيل و الكف لتكون هذه الغنيمة المعجلة و الكفة « ايَةً » امارة «لِلْمُؤْمِنِينَ » يعرفون بها صدق رسول الله صلّي الله عليه و سلم في وعدهم عند الرجوع من الحديبية بما ذكر من الغنايم و فتح مكة و دخول المسجد الحرام ، و امّا عاطفة و اللام متعلقة بما تعلق [336] به علة أخري محذوفة [337] ، اي فعجل لكم هذه و كفّ أيدي الناس لتشكروا هذه النعم و لتكون لكم آية « وَ يَهْدِيَكُمْ » اي يوصلكم [338] بتلك الآية « صِراطاً مُسْتَقِماً » هو التوكل التامّ عليه في كل ما تأتون و تذرون " لِكيلا تَحْزنوا عَلي ما فاتَكُم و لا تَفرَحوا بما

---

(٣٣٤) ش : لإمداد

(٣٣٥) ف ، س : عقبهم

(٣٣٦) م ، ش ، س : تعلق

(٣٣٧) س : بمحذوفة

(٣٣٨) ش : يولكم

آتاكُمْ " (٣٣٩) .

{ وَ أُخْرَي لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللّٰهُ بِهَا ، وَكَانَ اللّٰهُ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً } (٢١)

« وَ أُخْرَي » و عجل لكم غير هذه المغانم مغانم أخري « لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا » صفة لأخري ، و المعني لم تكونوا تقدروا عليها بقدرتكم و اجتهادكم لولا إقدار الله إياكم عليها بفضله . و هي مغانم هوازن في غزوة حنين ، و لما اشتدّ الأمر في هذه الغزوة علي المسمين في اول الأمر " حتي ضاقَت عليهمُ الأرْضُ بما رحُبَت " (٣٤٠) ، وصف الله تعالي مغانمها بعدم قدرتهم عليها و أنه « قَدْ أَحَاطَ اللّٰهُ بِهَا » اي عليها قدرة تامة و أظهركم عليها ، فالجملة صفة بعد صفة لأخري ، و فائدتها أن هذا المغانم و إن كان صعب النيل و عصر الوصول بالنسبة الي قدرتكم الأ أنها في جنب القدرة الإلهية الكاملة أسهل و أيسر .

و قيل أن أخري يجوز نصبه بمضمر يفسره " قد أحاط الله بها " (٣٤١) ، اي و قضي الله (١٣ /أ) أخري ، و اعترض عليه بأنه لا ريب في أن الإخبار بقضاء الله إياها بعد إندراجها في جملة المغانم الموعودة (٣٤٢) بقوله تعالي : " وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها " ليس فيه مزيد فائدة ، و إنما الفائدة في بيان تعجيلها فهو معطوف علي مفعول " فعجّل " إنتهي . أقول مناط الفائدة في هذه الإخبار وصف عدم كونها مقدورا لهم فإنه لم يكن يخطر ببالهم أن في جملة المغانم الموعودة ما يصعب نيله و يعسر الوصول اليه فلزيادة الإمتنان عليهم صرح بذلك (٣٤٣) ، و كفاك هذا مزيدا للفائدة .

---

(٣٣٩) الحديد : ٢٣/٥٧

(٣٤٠) التوبة (٩) : ٢٥

(٣٤١) البيضاوي : ٨٤/٥

(٣٤٢) م : الموجودة

(٣٤٣) م ، ف ، ش ، س : به

« وَ كَانَ اللَّهُ » أزلاو أبدا « عَلَي كُلِّ شَيْءٍ » اي مشيء الوجود ، و لا حاجة الي استثناء الواجب و الممتنع ، لأن الشيء بمعني ما شاء الله وجوده ، لا يمكن أن يكون واجبا و لا ممتنعا ، فلا يدخلان تحت الشيء حتي يحتاج الي استثنائهما و تخصيصه بالممكن .

و السر فيه أن الشيء عندنا يساوي (٣٤٤) الموجود ، لأنه مصدر بمعني المفعول ، اي مشيء الوجود ، نَعم ، الشيء بمعني الشائ يتناول الواجب ايضا ، كما قال الله تعالي : " قلْ أيُّ شيءٍ أكبَر شَهادةً قل اللَّهُ " (٣٤٥) ، و بمعني ما يصح أن يعلم و يخبر عنه (٣٤٦) يتناول الممتنع أيضا ، لكن في هذا المقام بمعني مشيء الوجود ، فهو تعالي علي كل ما يدخل تحت الوجود ، وقد سبق تفصيله و تحقيقه في تفسير سورة يس (٣٤٧) ، « قَدِيراً » لأن المقتضي لقدرته هو ذاته المقدسة (٣٤٨) عن شوايب العجز و المصحح للمقدورية هو الإمكان اللازم لماهية الشيء الممكن ، فلا يتأبي عن قدرته شيء من الممكنات . فكل ما يمكن أن يوجد وهو معني الشيء يصح لله (٣٤٩) تعالي إيجاده و تركه ، و هو معني القدرة عند المتكلمين و ليس شيء منها لازما لذاته بحيث يستحيل إنفكاكه علي ما زعمت الفلاسفة .|

{ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً } (٢٢)

« وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا » يعني ليست الحكمة في تأخير القتال عام الحديبية أن كفرة مكة لو قاتلوكم لهزموكم ، بل القضية كانت منعكسة ، فإنهم لو قاتلوكم « لَوَلَّوُا

---

(٣٤٤) ش : يساعد
(٣٤٥) الأنعام (٦) : ١٩
(٣٤٦) ش : عنده
(٣٤٧) س : " سورة يس " : ساقط
(٣٤٨) ش : تعالي و تقدس
(٣٤٩) ش ، س : منه تعالي

الأدبَارَ » لانهزموا منكم و انقلبوا علي اعقابهم و ظهورهم خاسئين « ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً » ملجأً يلتجؤن اليه ، « وَ لاَ نَصِيراً »ينتصرون بنصره و تأييده إذ و من النصر الاّ من عند الله ، فأنتم جند الله و أولئك حزب الشيطان . ألا إن جند الله هم الغالبون ، و حزب الشيطان أولئك هم الخاسرون . و هكذا جرت العادة القديمة لا ينطرق اليها التبديل كما قال عزّ من قائل :|

{ سُنَّةَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً } (٢٣)

« سنة الله التي قد خلت من قبل » اي غلبة جند الله علي حزب الشيطان سنة قديمة سنها الله تعالي فيمن مضي من (٣٥٠) الأمم ، « وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً » لأنه أحديّ الذات وأحدي الصفات ، حكمه و أمره واحد ، فلا يصح لديه تردد ولا إختلاف ولا تبدل . |

{ وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً } (٢٤)

« وَ هُوَ الَّذِي » اي من جملة ما أنعم عليكم عام الحديبية أنه « كَفَّ أَيْدِيَهُمْ » اي أيدي مشركي مكة « عَنكُمْ » حيث لم يمكنهم (٣٥١) عليكم « وَ كَفَّ » (١٣ /ب) ايضا « أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ » حيث لم يمكنكم (٣٥٢) أن تستأصلوهم « بِبَطْنِ مَكَّةَ » اي داخل حيطانها و خلال دورها « مِنْ بَعْدِ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ » حين ما خرج عكرمة ابن ابي جهل (٣٥٣) في خمس مائة الي الحديبية فبعث رسول الله صلّي الله عليه و سلم خالد ابن الوليد

---

(٣٥٠) الأصل ، م ، ف : "من" : ساقط

(٣٥١) م ، ش ، س : لم يمكنوهم

(٣٥٢) م ، ش ، س : لم يمكنوكم

(٣٥٣) و هو عكرمة بن ابي جهل عمر بن هشام المخزومي القرشي (و : ١٣ هـ /٦٣٤ م .) .

علي جنده[٣٥٥] فهزمهم حتي أدخلهم حيطان مكة ، فجاسوا خلال الديار ثم عادوا[٣٥٤] و قيل كان هذا الظفر يوم فتح مكة ، و به استشهد[٣٥٦] ابو حنيفة[٣٥٧] رضي الله عنه علي أن مكة فتحت عنوة لا صلحا . « وَ كَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ » بجميع اعمالكم سرا و جهرا ، و من جملتها هزمهم اولا و الكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته و الأ فهم أئمة الكفر و كانوا أحقاء بالإستيصال ، « بَصِيراً » فيجازيكم بذلك ، إن خيرا فخير و إن شرا فشر .

و اعلم أن[٣٥٨] السميع و البصير[٣٥٩] من اوصاف الذات . و السمع إدراك المسموعات حال حدوثها ، و البصر إدراك المبصرات حال وجودها . و قيل إنهما في حقه تعالي صفاتان ينكشف بهما المسموعات و المبصراط إنكشافا[٣٦٠] ، ولا يلزم من

من صناديد قريش في الجاهلية و الإسلام . كان هو و ابوه من اشد الناس عداوة للنبي صلي الله عليه و سلم . و اسلم عكرمة بعد فتح مكة و حسن اسلامه . و شهد الوقائع و ولي الأعمال لأبي بكر . و استشهد في اليرموك ، او يوم مرجع الصفر ، و عمره ٦٢ سنة . و في الحديث : " لا تؤذوا الأحياء بسبب الموتي " . قال المبرد : فنهي عن سب ابي جهل من اجل عكرمة . (الإصابة ٢٥٨/٤ ؛ الأعلام : ٤٤/٥) .

(٣٥٤) و هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي (و : ٢١ ه ، ٦٤٢/. م .) ، سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابي . كان من اشراف قريش في الجاهلية ، و اسلم قبل فتح مكة فسر به رسول الله صلي الله عليه و سلم و ولاه الخيل . فلما ولي ابو بكر وجهه لقتال مسيلمة . و لما ولي عمر عزله عن قيادة الجيش بالشام . و مات بحمص و قيل بالمدينة . كان مظفرا خطيبا فصيحا . (الإصابة : ٩٨/٢ ، ٩٩ ؛ الأعلام : ٣٤١/٢ ، ٣٤٢)

(٣٥٥) ش : علي جند

(٣٥٦) ش : شهد

(١) و هو النعمان بن ثابت ، التيمي بالولاء ، الكوفي ، ، ابو حنيفة (٨٠ . ١٥٠ ه ، /. ٦٩٩ . ٧٦٧) ، امام الحنفية ، الفقيه ، المجتهد المحقق . احد الأئمة الأربعة عند اهل السنة . ولد و نشأ بالكوفة . و كان يبيع الخز و يطلب العلم في صباه . ثم انقطع للتدريس و الإفتا . و كان قوي الحجة ، من احسن الناس منطقا . و كان كريما في اخلاقه جوادا ، حسن المنطق و الصورة ، جوهري الصوت . توفي ببغداد و اخباره كثيرة . (الأعلام : ٤/٩ ، ٥)

(٣٥٨) الأصل ، م ، ف : " أنّ " : ساقط

(٣٥٩) م ، ش ، س : البصير و السميع

(٣٦٠) الأصل م ، ف ، س : " إنكشافا " : ساقط

إفتقار[٣٦١] هذين النوعين من الإدراك فينا الي آلة إفتقارهما [٣٦٢] اليها بالنسبة الي الله تعالي ، لأن صفات الله تعالي مخالفة لصفات المخلوقين بالذات و إن كانت تشاركها[٣٦٣] فإنما تشاركها في العوارض و الإسم في بعد اللوازم . الا تري أن صفاتنا أعراض عارضة معرضة [٣٦٤] للآبفة و النقصان و صفات الله[٣٦٥] تعالي مقدسة عن ذلك . و حظ العبد منهما أن يتحقق أنه بمسع من الله و مراء منه فلا يستهين بإطلاع الله عليه و نظره اليه و يراقب مجامع أحواله من مقاله و افعاله .

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ . وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٢٥)

«هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » بيان لجنايتهم العظيمة ليوسموا بسمة قبيحة لا ينفكون عنها اينما سلكوا ، و المقصود أنهم جمعوا بين جنايتي الكفر و الصد و الأ فلا فائدة في الإخبار عن كفرهم فقط . « وَ الْهَدْيَ » اي و صدوا الهدي علي أنه منصوب معطوف علي مفعول صدوا ، او عن نحر الهدي علي أنه مجرور معطوف علي المسجد بحذف المضاف ، و الهدي ما يهدي الي مكة « مَعْكُوفاً » اي محبوسا ، حال من الهدي « أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ » اما بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الحافض ، اي صدّوا الهدي من أن يبلغ محله او محبوسا من أن يبلغ محله .

---

(٣٦١) الأصل : اقتصار

(٣٦٢) الأصل : اقتصارهما

(٣٦٣) ش : " تشاركها " : ساقط

(٣٦٤) ف : معروضة

(٣٦٥) م ، ف ، ش : صفاته تعالي

قال القاضي رحمه الله في تفسيره : " و محله مكانه الذي يحل فيه نحره ، و المراد مكانه المعهود و هو مني ، لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره ، و الأ لما نحره السول عليه الصلاة و السلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية علي أن مذبح هدي المحصر هو الحرم ، إنتهي [٣٦٦] . و الجواب أن بعض الحديبية من الحرم ، و روي أن خيامه عليه السلام [٣٦٧] كانت في الحل و مصلاه في الحرم ، و هناك نحرت هداياه . و المراد صدها عن محلها المعهود (١٤ /أ) الذي هو مني .

« وَ لَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ » موجودون بين المشركين في مكة « وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ » صفة لرجال و نساء ، اي لم تعرفوهم بأعيانهم لكونهم في ريّ المشركين لاختلاطهم بهم ، و إن كنتم عالمين علي الوجه الكلي بأن فيها مؤمنين « أَنْ تَطَؤُهُمْ »بدل اشتمال من رجال و نساء ، اي لولا أن تطؤا و توقعوا و تهلكوا اناسا مؤمنين غير عالمين بهم « فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ » من جهتهم « مَعَرَّةٌ » مشقة و مكروه كوجوب الدية و الكفارة بقتلهم و الحزن عليهم و تعبير الكفار بقطع صلة الرحم و الإثم بالتقصير [٣٦٨] في البحث عنهم [٣٦٩] .

و جعل أن تطؤهم بدل اشتمال من الضمير المنسوب في تعلموهم مما لا يلايم قوله تعالي « بِغَيْرِ عِلْمٍ » لأنه متعلق بقوله [٣٧٠] " أَنْ تَطَؤُهُمْ " ، إذ يصير المعني حينئذ لم تعلموا أن تطؤهم غير عالمين بهم و لا يخفي ركاكة هذا المعني . و اما جعله متعلقا بتصيبكم فيرد عليه أن فاعله معرة و لا يتصور منها علم ، و صرفه اليهم بمعني أن يصيبكم تلك و انتم لا تعلمون بها مما ليس فيه كثير فائدة ، لأن مناط جواب لولا إصابة

---

(٣٦٦) البيضاوي : ٨٤/٥

(٣٦٧) ش : " عليه السلام " : ساقط

(٣٦٨) ف : في التقصير

(٣٦٩) م : " عنهم " : ساقط

(٣٧٠) م : " بقوله " : ساقط

المعرة اليهم سواء علموهم او لا مع أنه يلزم من تقييد الوطئ بعدم العلم [٣٧١] .

و جواب لولا محذوف يدل عليه الكلام [٣٧٢] ، و المعني لولا كراهة أن تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين أنتم بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كفّ أيديكم عنهم لكن كفّ « لِيُدْخِلَ اللّهُ » بذلك الكف المؤدي الي الفتح بلا محذور ، فاللام في ليدخل متعلق لما يدل عليه الجواب المحذوف « فِي رَحْمَتِهِ » التي وسعت كل شيء « مَنْ يَشَاء » أن يدخل في رحمته من مؤمني اهل مكة بأن يفيض عليهم انواع نعمه دنيوية و أخروية و يحيط [٣٧٣] عليهم نعمه تعالي إحاطة البيت لمن يدخله فإنهم و إن كانوا قبل ذلك الكف المؤدي الي الفتح المرحومين بالرحمة الأخروية لكنهم محرومين عن الرحمة الدنيوية لكونهم[٣٧٤] مستضعفين تحت أيدي الكفرة غير آمنين ، و كانوا قاصرين في الرحمة الأخروية لعدم تمكنهم من إقامة مراسم الإسلام كما ينبغي ، فتمكينهم عن إقامتها علي الوجه لأتم إدخال لهم في الرحمة الأخروية و تبديلهم من بعد خوفهم أمنا و توفيقهم علي إقامة شعائر الإسلام و جعلهم أعزّة بعد ما كانوا أذلة بين المشركين إدخال لهم في كلا نوعي الرحمة .]

و قد جوّز أن يكون من يشاء عبارة عمّن يرغب في الإسلام من المشركين ، و ردّ ذلك [٣٧٥] بأنه يأباه قوله تعالي « لَوْ تَزَيَّلُوا » فإن فرض التزييل و ترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالإيمان و الكفر قبل التزييل حتما ، اي لو تفرقوا و تميز و عين بعضهم من بعض [٣٧٦] « لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً » بقتل

---

(٣٧١) الأصل ، م ، ف : " من " و أما جعله متعلقا " الي " بعدم العلم " : ساقط

(٣٧٢) الأصل : علي الكلام

(٣٧٣) م : و محيط

(٣٧٤) الأصل : لكنهم

(٣٧٥) س : و هو ابو السعود العمادي

(٣٧٦) ابو السعود : ١١٣/٨

مقاتلتهم(٣٧٧) و سبي ذراريهم . أقول لا يأباه كل الأباء ، إذ المعني حينئذ لعذبنا الذين أصرّوا منهم علي الكفر و لم يرغبوا في الإسلام ، و المباينة بين الفريقين متحققة ايضا . ثم إن هذه الجملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها (٣٧٨) ، يعني أنما كفّ أيديكم عنهم لاختلاط المؤمنين لهم في الواقع و عدم تميزهم بعضهم عن بعض ، إذ لو فرض عدم إختلاطهم بأن يكونوا (٣٧٩) متميزين لما كف أيديكم عنهم بل عذّب الكافرين و أنجي المؤمنين (٣٨٠) المتقين .

{ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَي رَسُولِهِ وَعَلَي الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَي وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } (٢٦)

و قوله تعالي(١٤) /ب) « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا » بوضع الموصول موضع المضمر لتعليل(٣٨١) الحكم و لذمهم بما في حيز الصلة ، اما ظرف لعَذّبنا او منصوب علي المفعولية بإضمار أذكر ، و الجعل إن كان بمعني الإلقاء فيتعلق به قوله تعالي « فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ » اي الأنفة و العجب ، و إن كان بمعني التصيير فهو متعلق بمحذوف و هو مفعول ثان ، اي جعلوها ملكة راسخة في قلوبهم (٣٨٢) و جحدوا الحق بعد ما استيقنتها انفسهم لبفرط جهلهم و حميتهم « حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ » حمية ناشئة من الجاهلية ، فإن الحمية الناشئة من المعرفة و الغيرة في الدين محمودة .

---

(٣٧٧) م : مقاتليهم

(٣٧٨) ش : باقيها

(٣٧٩) الأصل ، ش : بأن يكون

(٣٨٠) الأصل ، م ، ف ، س : " المؤمنين " : ساقط

(٣٨١) ف : ليعقل

(٣٨٢) ابو السعود : ١١٢/٨

ثم لما (٣٨٣) ذكر سوء صنيع الكفرة قرنه بتذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام و المؤمنين بتوفيق الله تعالي فقال تعالي « فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلي رَسُولِهِ وَ عَلي الْمُؤْمِنِينَ » او المعني لو تزيلوا (٣٨٤) لعذّبنا ، لكن لم تزيلوا فلم نعذب فأنزل الله الآية .

و ذلك ما روي أن رسول الله صلي الله عليه و سلم لما نزل الحديبية و هم بقتالهم(٣٨٥) بعثوا سهل بن عمرو (٣٨٦) و حويطب بن عبد العزيز (٣٨٧) و مكرز بن حفص علي أن يعرضوا علي النبي أن يرجع من عامه ذلك علي أن يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام (٣٨٨) فأجابهم (٣٨٩)، و كتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة السلام لعلي رضي الله عنه أكتب بسم الله الرحمن الرحيم (٣٩٠)، فقالوا ما نعرف هذا(٣٩١) ، أكتب باسمك اللهم (٣٩٢) . ثم قال أكتب هذا ما صالح النبي عليه السلام

---

(٣٨٣) ش : بما

(٣٨٤) ف ، س : لم يتزيلوا

(٣٨٥) الأصل ، م ، ف : "بقتالهم" : ساقط

(٣٨٦) و هو سهيل بن عمرو ، كان من المشركين . و هو صالح مع رسول الله صلي الله عليه و سلم يوم الحديبية . جاء الي المدينة مرسلا من طرف ابي سفيان ليخبر رسول الله صلي الله عليه و سلم بجمع ابي سفيان و يمنع خروجه عليه السلام الي بدر الموعود . و هو قال لرسول الله صلي الله عليه و سلم : " قد أنقض اجلك فاخرج عنا " في العمرة القضية .(ابن سعد : ٢/٩٧، ١٢٢، ١٣٤، ١٣٥) .

(٣٨٧) و هو حويطب بن عبد العزي ، كان من المشركين ، و شهد مصالحة الحديبية . و كان مع مكرز بن حفص في إعانة بني نفاثة علي خزاعة و نقض عهد النبي صلي الله عليه و سلم . و كان مع سهيل بن عمرو حين قال لرسول الله صلي الله عليه و سلم : أنقض اجلك فاخرج عنا ، في العمرة القضية .(ابن سعد : ٢/٩٧، ١٣٤)

(٣٨٨) الواقدي : مغازي ، ٢/٦٠٥

(٣٨٩) ابن هشام : سيرة ، ٣/٣٣١ ؛ احمد بن حنبل : ٤/٣٢٥

(٣٩٠) البخاري : الشروط /١٥ ؛ احمد بن حنبل : ٤/٣٢٥ ؛ابن هشام ، سيرة : ٣/٣٣١ ؛ الواقدي ، مغازي : ٢/٦١٠ ؛ عبد الرزاق ، المصنف : ٥/٣٣٧ .

(٣٩١) مسلم : الجهادو السير /٩٣ ؛ احمد بن حنبل : ٤/٨٦

(٣٩٢) البخاري : الشروط/١٥ ؛ احمد بن حنبل : ٤/٣٢٥ ؛ ابن هشام ، سيرة :

أهل مكة [٣٩٣] ، فقالوا لو كنا نعلم [٣٩٤] أنك لرسول الله ما صددناك عن البيت و ما قاتلناك [٣٩٥] ، أكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله [٣٩٦] اهل مكة ، فقال عليه السلام أكتب ما يريدون . فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك و يبطشوا عليهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا و تثبتوا [٣٩٧].

« وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَي » كلمة ناشئة من تقوي قلوبهم و هي كلمة التوحيد او كلمة أبي الكافرون عنها و هي كلمة بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله « وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا » اي ما ألزمهم الله هذه الكلمة قسرا و إلجاء عليهم من غير سابقة استحقاق لهم بها كما للمنافقين [٣٩٨] الذين كانوا يلازمون هذه الكلمة و يقولونها بأفواههم و لم يكن [٣٩٩] ذلك في قلوبهم ، بل كانوا في أنفسهم مستحقين بهذه[٤٠٠] الكلمة الطيبة و متأهلين بها لكون أصلها ثابتة في أرض قلوبهم و فرعها في سماء نفوسهم [٤٠١] . « وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً » فيعطي كل ذي حق حقه بمقتضي علمه الشامل و لا يعطي الأ ما يسأله القابل بلسان الإستعداد.

٣٣٢/٢ ؛ عبد الرزاق ، المصنف : ٣٣٧/٥ .

(٣٩٣) احمد بن حنبل : ٣٤٢/١ ، ٣٢٥/٤ ؛ ابن هشام ، سيرة : ٣٣٢/٣ ؛ الواقدي ، مغازي : ٦١١/٢ ؛ ابن سعد : ٩٧/٢ .

(٣٩٤) الأصل ، م ، ف ، س : " نعلم " : ساقط

(٣٩٥) البخاري : الشروط / ١٥ ؛ عبد الرزاق ، المصنف : ٣٣٨/٥ ؛ ابو عبيد ، الأموال /١٥٨ .

(٣٩٦) مسلم : الشروط /٩٣ ؛ احمد بن حنبل : ٢٦٨/٣ ؛ ابن هشام ، سيرة : ٣٣٢/٣ ؛ الواقدي ، مغازي : ١٦٠/٢ ؛ ابو يوسف ، الخراج /٢٢٦ .

(٣٩٧) الواقدي ، مغازي : ٦١٠/٢، ٦١١

(٣٩٨) الأصل : كالمنافقين ؛ م : بما كانوا للمنافقين

(٣٩٩) ف : و لن تكن .

(٤٠٠) س : من " و يقولنها بأفواههم " الي " مستحقين بهذه " : ساقط

(٤٠١) ف : تقويهم

ثم إن رسول الله صلي الله عليه و سلم قبل خروجه الي الحديبية رأي في منامه كأنه و اصحابه قد دخلوا مكة آمنين محلقين رؤسهم و مقصرين (٤٠٢) ، و قصّ الرؤيا علي اصحابه ففرحوا و استبشروا و حسبوا أنهم يدخلونها في عامهم (٤٠٣) ، فلما تأخر ذلك(٤٠٤) قال عبد الله بن أبي (٤٠٥) و عبد الله بن نفيل (٤٠٦) و رفاعة بن الحارث(٤٠٧) : و الله ما حلقنا و لا قصرنا و لا رأينا المسجد الحرام (١٥ /أ) فنزل قوله تعالي :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ . فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ (٢٧)

« لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا » اي صدقه عليه السلام في رؤياه بأن أراه رؤيا

---

(٤٠٢) ابن هشام ، سيرة : ٣٣٦/٣ ؛ الواقدي ، مغازي : ٥٧٢/٢ ؛ الطبري ، تفسير : ٦٨/٢٦.

(٤٠٣) الكشاف : ٥٤٩/٣ ؛ النسفي ، تفسير : ١٦٣/٤ .

(٤٠٤) النسفي ، تفسير : ١٦٣/٤ ؛ السيوطي ، الدر المنثور : ٥٣٨/٧ .

(٤٠٥) و هو عبد الله بن ابي بن سلول ، رئيس المنافقين الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم (المائدة/ ٤١) . تخلف عن رسول الله صلي الله عليه و سلم في يوم الأحزاب و يوم تبوك . و قال في يوم التنازع بين الأنصا و قريش : " لإن رجعنا الي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (المنافقون/٨) . فنما زيد بن الأرقم ذلك الي رسول الله صلي الله عليه و سلم فأنكر ابي ، فنزل القرآن بتصديق زيد و تكذيب ابن ابي . (ابن سعد : ٣٩/٢، ٤٨ ؛ ٤٨٩/٣، ٥٤٩ ؛ ٣٤٩/٤ ؛ ابن هشام ، سيرة : ٥٥/٢، ٢١٦، ٢١٨ .

(٤٠٦) و هو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . كان ابوه صحابيا ، ود لكن هو ليس من الصحابيين . بل كان من المنافقين . (ابن سعد : ٤٥/٤)

(٤٠٧) و هو رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك ، كان من المنافقين ايضا . (ابن سعد : ٤٩٢/٣)

صادقة . و الرؤيا كالرؤية (٤٠٨) غير أنها مختصة بما يكون في النوم فرقا بينهما يجري في التأنيث كالقرية و القري ، و حقيقتها إنطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة الي الحس المشترك ، و الصادقة عنها (٤٠٩) ما يكون باتصال النفس بالملكوت الأعلي .

و ذلك أن جميع الأمور الكائنة في العالم بما كان او سيكون مرتسمة في المبادي العالية و الملأ الأعلي أعني العقول المجردة و النفوس السماوية . و للنفوس الناطقة الإنسانية أن يتصل بتلك المبادي و ينقش بالصور (٤١٠) المرتسمة فيها الا أن اشتغاله بتدبير البدن يمنع (٤١١) لإتصال بتلك المبادي اللّهم ، الا لبعض النفوس القوية القادرة علي استخلاص الحس المشترك عن تعلقات الحواس الظاهرة ، فإنّ لمثل هذه النفوس القوية يمكن أن يتصل حال اليقظة بالمبادي العالية و تدرك ما ارتسم فيها من المغيبات(٤١٢) كما للأنبياء و الأولياء .

و اما حالة النوم فيرتفع المانع فيها بالكلية و يتصل النفس بالعالم العقلي و يدرك ما فيها من الأمور المرتسمة علي وجه كلي مما هو أليق بذلك النفس و بحال ما يقرب منها من الأهل و الولد و الإقليم فتحاكي المتخيلة هذه المعاني(٤١٣) الكلية بصور جزئية مناسبة كمحاكاتها الخيرات و الفضائل بصور جميلة ، و الشرور و الرزائل بأضدادها(٤١٤) ، ثم ينزل منها الي الحس المشترك . فإن لم يكن هناك فرق الا بالكلية و الجزئية فالرؤيا لا يحتاج الي التعبير ولا إحتياج اليه .

---

(٤٠٨) س : " كالرؤية " : ساقط

(٤٠٩) م ، ش ، س : منها

(٤١٠) الأصل : بالصورة

(٤١١) الأصل ، م ، س : يعني

(٤١٢) ش : الغيبيات

(٤١٣) ش : المقدمة ؛ س : المعدة

(٤١٤) الأصل ، م : بأضداد

و أما الكاذبة منها فسببها [٤١٥] أن النفس إذا أحست بتوسط الآلات بصور جزئية فبقيت مخزونة في الخيال فعند النوم يرتسم في الحس المشترك و لأنّ النفس ألفت صورة و ألفتها المتخيلة فعند النوم ينتقل منها [٤١٦] الي الخيال و منه الي الحس المشترك ، كما انّ الإنسان إذا تفكر في الإنتقال من موضع الي موضع او رجا شيئاً او خاف من شيء فإنه يري في تلك الأمور في النوم . او لأن [٤١٧] مزاج الدماغ يصير متغيرا ، فمرة مال مزاجه الي الحر فيري النيران و مرة مال الي البرودة فيري الثلوج . و المنامات التي يكون سببها احد هذه الأمور الثلاثة كاذبة لا عبرة بها ، بل هي " أضغاث احلام ، و ما كنا بتأويل الأحكام بعالمين " [٤١٨] .

و منامات الأنبياء لا يكون الأ صدقا و حقا كما قال تعالي : « بِالْحَقِّ » اي صدقا ملتبسا بالحق ، و هو الحكمة المصلحة الكاملة كتمييز الراسخ في الإيمان عن المتزلزل فيه ، فعلي هذا بالحق صفة لمصدر محذوف . و يكون أن يكون حالا من الرؤيا اي حال كونها (١٥/ب) ملتبسة بالحق غير كاذبة من قبيل أضغاث الأحلام . و جوز أن يكون قسما بالحق علي أن يكون من الأسماء الحسني . او بمعني نقض الباطل . فعلي الأولين قوله تعالي « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » جواب قسم محذوف ، اي و الله لتدخلن ، و علي الثالث جواب للقسم المذكور اعني بالحق .

و قوله تعالي « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » اما تعليق للدخول بالمشيئة إشعارا بأن بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك . و اما تعليق للوعد بالدخول بالمشيئة تعليما [٤١٩] للعباد كيلا يقول احدهم " إني فاعل ذلك غدا الأ أن يشاء الله " [٤٢٠] . او حكاية لما

---

(٤١٥) الأصل ، م ، ش : فيها
(٤١٦) ش : عنها
(٤١٧) ف : او لا
(٤١٨) يوسف (١٢) : ٤٤
(٤١٩) ف : تعظيما . (٤٢٠) الكهف (١٨) : ٢٣

قاله ملك الرؤيا و اسمه صديقون ، او لما قاله عليه السلام لأصحابه . « آمِنِينَ » حال من فاعل لتدخلنّ و لا يقدح فيه تحلل الشرطية بينهما لكونها معترضة « مُحَلِّقِينَ » بعضكم « رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ » بعضكم الآخرون . و قوله تعالي محلقفين إن جعل حالا من فاعل لتدخلنّ ايضا فهي مترادفة ، و إن جعل حالا من ضمير آمنين فهي متداخلة . و اما حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين .

و قوله تعالي « لاَ تَخَافُونَ » اما مستأنفة ، اي لا تخافون بعد ذلك . و هذا بعينه كما يقال قدم فلان من سفره فأكرمته و ألبسته و أعطيته دراهم و دنانير و بعد ذلك استقبلته و لاقيته علي فراسخ . فقولك بعد ذلك معناه أذكر ما سبق إنّي استقبلته الي آخره . « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » عطف علي القصة [٤٢١] السابقة ، اعني صدق الله ، الآية . و التعقيب في مجرد الذكر ، او باعتبار [٤٢٢] الحكم [٤٢٣] و الأخبار فلا يرد ما قيل من أن جعل ما في قوله تعالي ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الي العام القابل كما جنح اليه الجمهور مما يأباه الفاء . فإن علمه تعالي بذلك متقدم علي إراءة الرؤيا قطعا، إنتهي .

ثم قيل المراد بعلمه تعالي العلم الفعلي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه ، اي علم عقيب ما أراه الرؤيا الصادق ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الي تقديم ما يشهد بالصدق أعني الفتح القريب علما فعليا إنتهي .و يرد عليه أنه لا فرق بين الحكمتين ، و إن كلا منهما يعلم [٤٢٤] الله تعالي علما فعليا وقت حدوثهما ، فإن هذا العلم متأخر عن إراءة الرؤيا . و كذا لا فرق بينهما في أنه تعالي يعلم كلا منهما قبل حدوثهما ايضا بأنه سيحدث . فإنه يعلم الحوادث [٤٢٥] قبل وجودها بأنها سيحدث وقت حدوثها بأنها حدث

---

(٤٢١) الأصل : " القصة " : ساقط
(٤٢٢) ش : و اما عبارة
(٤٢٣) ش : من الحكم
(٤٢٤) ش س : يعلمه
(٤٢٥) ف : الحادث

صرحوا به . فالحكم بتقدم علمه تعالي بذلك (٤٢٦) علي الرؤيا قطعا تحكم ، فالحق ما عليه الجمهور و مخالفتهم في قوة الخطأ كما هو المشهور .

و الفاء في قوله تعالي « فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ » للسببية ، اي جعل لأجل علمه ما لم تعلموا من دون ذلك المذكور من تحقق مصداق رؤياه من دخول (١٦ /أ) المسجد الحرام آمنين « فَتْحاً قَرِيباً » من غير تسويف لتكون آية شاهدة علي صدق الرؤيا كما قال " و لتكون آية للمؤمنين " (٤٢٧). و المراد بالفتح القريب فتح قلاع خيبر ، و بجعله إبداعه و إخراجه من العدم الي الوجود لأنه جعْل بسيط لكونه ذا مفعول واحد . و قيل المراد بجعله وعده بذلك و إنجاز ذلك الوعد . و لا يخفي أنه بعيد ، و جعلي يحق من جعل الظلمات و النور و الظل و الحرور .

{ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَي وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَي بِاللَّهِ شَهِيداً } (٢٨) .

و قوله تعالي « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ » جملة مستأنفة سيقت لتطييب خواطر المسلمين بأنه أرسل اليهم رسولا ، لا (٤٢٨) يضلّ من اتبعه و لا يطغي بأنه تعالي سيفتح لهم مشارق الأرض و مغاربها و يورثهم الأرض و يتبوّؤن منها حيث يشائون مع ما فيه من فضل تأكيد للفتح الموعود . و قوله تعالي « بِالْهُدَي » إما حال من المفعول ، أي رسولا ملتبسا بالهدي بمعني كونه مهتديا في نفسه ، أو بمعني كونه هاديا لمن أرسل اليهم ، و الثاني أبلغ . او الباء سببية اي بسبب كونه مهتديا او هاديا او لأجل يهدي الناس الي صراط مستقيم ، كما قال الله تعالي " و إنك لتهدي الي صراط مستقيم " (٤٢٩) .

(٤٢٦) ف : بذلك الرؤيا
(٤٢٧) الفتح (٤٨) : ٢٠
(٤٢٨) س : " لا " : ساقط
(٤٢٩)) الشوري : ٥٢/٤٢

« وَ دِينِ الْحَقِّ » عرفوا الدين بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الي الخير بالذات . و المراد بالوضع ما يكون بجعل الجاعل و اعتبار المعتبر فيخرج[430] التوحيد و التنزيه . و قيد الإلهي يخرج به التخصيص الصناعي و [431] غيرها كشرع الشياطين للكفار [432] و المنافقين . فإن قلت اما أن يراد بالوضع الإلهي الكتاب و السنة المشتملة علي القول و العمل ، و ذلك لا يلايم ما ذكروا أن الشرع هو الدين ، ثم فسروه بما بيّنها الشارع و أظهرها . و اما أن يراد المسايل الأصولية و الفروعية و الإعتقادات و الأعمال ، و علي التقديرين إن صح الكلام في الفروع باعتبار أن يراد بالإلهي المنسوب الي الكتاب و السنة بوجه ما .

و ذلك لأن العمل بالمجتهدات الفروعية صحيحة نافعة في الآخرة صوابا كانت او خطأ . لكنه لا يصح في الأصول ، لأن خطأ الخصم المبتدع من المعتزلة و غيرهم جزء من علم الكلام الذي هو أصول الدين فلا يكون سائقا الي الخير [433] بالذات ، فإن الخطأ في الإعتقاد ليس بنافع في الآخرة . قلت علم الكلام ما يتعلق بالإعتقادات المتعلقة[434] المنسوبة الي الدين و لو بحسب الزعم الباطل . لكن الدين ما يكون حقا غاية الأمر ، إن كل [435] طائفة من أهل الإختلاف يزعم أن طريقهم هي الدين ، " فكل حزب بما لديهم فرحون " [436]. و يمكن أن يعمم السوق بحيث يتناول ما بحسب الزعم و لذا يوصف الدين بالباطل وَ الحق فتأمل .

---

(٤٣٠) س : ليخرج
(٤٣١) ش : " و " : ساقط
(٤٣٢) الأصل : الكفار
(٤٣٣) م : الخيرات
(٤٣٤) الأصل ، م ، ش ، س : " المتعلقة " : ساقط
(٤٣٥) ش : " كل " : ساقط
(٤٣٦) الروم (٣٠) : ٣٢

و بقيد سائق يخرج ما ليس سائقا من الأوضاع الإلهية كتخصيصه تعالي إنبات الزروع و الأشجار ببعض الأمكنة و الأزمنة . و بقيد ذوي العقول يخرج الأوضاع (١٦ / ب) الألهية السائقة للحيوانات الي أنعالها المختصة بها بالإختيار . و قيد باختيارهم يخرج الوجدانيات السائقة أصحابها الي غاياتها . و فيه إشارة ايضا الي ثبوت الإختيار في الفعل و الترك ، لتكون عبادة يترتب عليها الثواب [٤٣٧] و معصية يترتب عليها العقاب . و بقيد المحمود يخرج الكفر ، فإنه وضع إلهي عند من يقول : يخلق أفعال العباد ، الا أن سوقه لذوي العقول بسوء إختيارهم ، و الخير هو الثواب . و قيد بالذات اما متعلق بسائق ، لأن الوضع الإلهي إنما هو للسوق فيكون لذاته ، و اما متعلق بالخير و المراد به السعادات الأبدية لأن خيريتها اعني كونه أمرا مناسبا مؤثرا من حيث انه مؤثر إنما هو لذاته لا بتوسط شيء .

و قد يطلق الدين علي ألأ وضاع الباطلة بالإشتراك كقوله تعالي " و من يبتغ غير الإسلام دينا " [٤٣٨] ، و قوله " لكم دينكم و لي دين " [٤٣٩] . و اما إطلاقه علي الأوضاع الحقة فبالإشتراك المعنوي المشكل دون التواطئ لقوله تعالي " اليوم أكملت لكم دينكم " [٤٤٠] . و يجوز أن يكون في الكل مشتركا معنويا بأن يراد ما يتعبد به [٤٤١] و يعتقد حقا او [٤٤٢] باطلا . فعلم من هذه التفصيل فائدة إضافة الدين الي الحق ، فإن الدين عند الله الإسلام . « لِيُظْهِرَهُ » اي يغلبه « عَلَي » جمس « الدِّينِ كُلِّهِ » بجميع أفراده التي هي الأديان المختلفة بتسليط أهل الإسلام علي سائر أهل الأديان المختلفة باختلاف الأدوار و اختلاف الإستعدادات و بإظهار بطلان ما كان باطلا منها . « وَ كَفَي بِاللهِ شَهِيداً » بينك و بينهم ، أو علي أن ما وعده محقق لا شبهة فيه ، أو علي مضمون

---

(٤٣٧) الأصل : الصواب

(٤٣٨) آل عمران (٣) : ٨٥

(٤٣٩) الكافرون (١٠٩) : ٦

(٤٤٠) المائدة (٥) : ٣

(٤٤١) ش ، س : " به " : ساقط

(٤٤٢) الأصل ، م ، ف ، ش : " أو " : ساقط

{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَي الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَ رِضْوَاناً . سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَيةِ ، وَ مَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَي عَلَي سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ . وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً } (٢٩)

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » علي أن يكون مبتدأ و خبرا ، و تكون الجملة مبنية للمشهود به . و يجوز أن يكون محمد خبرُ مبتدإ محذوف و رسول الله بدلا او بيانا او نعتا(٤٤٣) ، فالمعني : ذلك الرسول الذي أرسله بالهدي و دين الحق محمد رسول الله (٤٤٤) . ففائدة تباع بوصف رسول الله مع كونه معلوما من جعله خبر مبتدإ محذوف تعظيم لشأن ضاف اليه و إيذان بأن هذا الوصف صار سمة لازمة له عليه السلام لا ينفك عنه بوجه من الوجوه ، كما قال عليه السلام : " كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين " (٤٤٥) .

« وَ الَّذِينَ مَعَهُ » شروع في مدح الإتباع بعد بيان المتبوع زيادة في تطييب قلوبهم ، فيه إيذان أيضا بأن إتصافهم لهذه المناقب إنما هو ببركة صحبته عليه السلام كما يفيده ظ " معه " . ثمّ إن الموصول مع صلته مبتدأ ، و خبره قوله تعالي « أَشِدَّاءُ عَلَي الْكُفَّارِ يغلظون عليهم و يظهرون العزة و الشدة لهم .

---

(٤٤٣) ش ، س : " نعتا " : ساقط

(٤٤٤) ابو السعود : ١١٤/٨

(٤٤٥) الترمذي : المناقب/١ ؛ العجلوني ، كشف الخفاء : ١٩١/٢ (٢٠١٧)

« رُحَمَاء بَيْنَهُمْ » يخفضون جناح الذلّ بعضهم لبعض لما ألف الله بين قلوبهم . و في الآية الكريمة (١٧/أ) جمع بين معنيين غير متقابلين ، لكن يتعلق احدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق . فإن الرحمة و ان لم يكن مقابلة للشدة ، لكنها مسببة عن اللين (٤٤٦) الذي هو مقابل الشدة . و قد عدّ مثل هذا من فروع صنعة التضادّ . و قرأ أشداءً و رحماءً بالنصب ، إما (٤٤٧) علي الحالية من فاعل الظرف أعني معه لوقوعه صلة ، أو علي المدح ، فخبر المبتدإ حينئذ قوله تعالي « تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً » تبصرهم مواظبين علي الصلوات ، معدلين أركانها بحيث يتميز كل من الركوع و السجود و سائر الأركان بعضها عن بعض ، لا كنقرات الديك كما يفعله المتهاونون . و علي الأول هذا خبر آخر او إستيناف .

و اما قوله تعالي « يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوَاناً » فالظاهر أنه حال من مفعول تراهم ، اي تراهم في حال إشتغالهم بتدبير معاشهم و كسبهم القدر الواجب (٤٤٨) عليهم من نفقتهم و نفقة من يمونهم ، أنهم يصلون علي أحسن ما يكون . و الحاصل تراهم أن إشتغالهم بتحصيل وجوه معاشيهم لا يعوقهم و لا يشغلهم عن إقامة الصلوات و سائر العبادات لإكتفائهم علي القدر الصالح من وجه المعاش و قناعتهم بما يسدّ (٤٤٩) الرمق و عدم تهالكهم في طلب الدنيا لكون رضاء الله تعالي عندهم هو المطلب الأعلي . و يجوز أن يكون حالا من المستتر في ركعا و سجدا ، او جملة مستأنفة ، و فائدته علي التقديرين هو أنهم إنما (٤٥٠) يواظبون علي الصلاة لأنهم يبتغون ثوابا من الله و رضاء لا كالمنافقين " الذين إذا قاموا إلي الصلوة قاموا كُسالي يُراؤن الناسَ " (٤٥١) و لا يريدون (٤٥٢)

---

(٤٤٦) ف : " اللين " :ساقط

(٤٤٧) الأصل ، ف ، ش : " إما " : ساقط

(٤٤٨) ش ، س : واجب

(٤٤٩) ش : سد

(٤٥٠) الأصل ، ف ، ش ، س : " إنما " : ساقط

(٤٥١) النساء (٤) : ١٤٢

(٤٥٢) ش ، س : " و لا يريدون " : ساقط

وجه الله .

« سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » السيما فِعْلي من سَامَ إليه إذا أرسلها في المرعي معلمة ، او من وسم علي القلب كالجاه من الوجوه (٤٥٣) . و المراد علامتهم التي يعرفون بها كبياض الوجه و تلألإه ، اي استنارة وجوهم و ظهور أثر الخوف و الخشية في ظاهرهم من طول ما صلّوا آناء الليل و أطراف النهار خاضعين خاشعين .

و السر فيه أن العلاقة ثابتة بين عالمي الملك و الملكوت يتأثر كل منهما مما في الآخر ، فكما يفيض من طهارة الظاهر أثر علي الباطن ، فإن من توضأ او اغتسل من الجنابة فإنه يجد في نفسه إنشراح صدر و خفة ما لا يجده قبله . و اليه الإشارة بأن الوضوء { علي الوضوء } نور علي نور (٤٥٤) ، فكذلك يفيض من معارف القلب و مساعيه علي الظاهر فيتأثر كل من الظاهر و الباطن عن الآخر حسبما يقتضيه ، فيعرف كل من المطيعين و المجرمين بسيماهم .

او المعني سمتهم (٤٥٥) في جباههم من التأثير الذي يأثره كثرة السجود خالصا لوجه الله (٤٥٦) تعالي . و اما الإعتماد بالجبهة (٤٥٧) علي الأرض لتحدث فيه تلك السمة فذلك محض رياءو نفاق ، و لذلك نهي رسول الله صلي الله عليه و سلم عنه(٤٥٨) بقوله : " لا تعلبوا صوركم " (٤٥٩) اي لا تسموها . « ذَلِكَ » اي المذكور من نعوتهم

---

(٤٥٣) الأصل : الوجه

(٤٥٤) العجلوني ، كشف الخفاء : ٣٣٦/٢ ، الغزالي ، إحياء : ١٤٠/١ .

(٤٥٥) ش : سعتهم

(٤٥٦) ش ، س : لوجهه

(٤٥٧) س : بالجهة

(٤٥٨) ش : " عنه " : ساقط

(٤٥٩) المالكي محمد حمدي ، تفسير : ٤٤٤١/٦ . بلفظ " و لا تسموها بالحريق " : كنز العمال : ٤٥٢٧٥ ؛ الطبراني : ٣٥٠/١١ .

الجليلة البعيدة المرتبة و المنزلة علي ما يفيده ما فيه من معني البعد مع قرب المشار إليه . و هو مبتدأ و خبره قوله تعالي « مَثَلُهُمْ » أي قصتهم العجيبة الشأن الجارية مجري الأمثال في الغرابة حال كونه مسطورا « فِي التَّوْرَيةِ » فهو حال من مثلهم باعتبار معي الإشارة .

« وَ مَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ » و تكرير مثلهم إما لتأكيد (٤٦٠) الغرابة و زيادة تقريرها (٤٦١) ، فإن المعني : ذلك مثلهم في التورية و الإنجيل ، و اما لأن الكلام قد تم عند قوله تعالي " مثلهم في التورية " ، فعلي هذا قوله تعالي « كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ » خبر قوله تعالي " و مثلهم في الإنجيل " ، و يؤيده ما يقال أنه مكتوب في لإنجيل فيخرج قوم فينبتون نبات الزرع و يأمرون بالمعروف (٤٦٢) و ينهون عن المنكر . و إما علي(٤٦٣) الأول تمثيل مستأنف ضربه الله (٤٦٤) مثلا لأصحابه صلّي الله عليه و سلم حيث قلّوا في بدء الإسلام ثم كثروا و استحكموا ، فترقي أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس(٤٦٥) ، و في بيان أن وصفهم مسطور في التورية و الإنجيل زيادة تبشير و توقير لهم ، و إفادة أنهم عنده تعالي بمكانة و علو قد رحيث ذكر في الكتب الإلهية نعوتهم و تقريع لأهل الكتاب حيث كانوا يتلون الكتاب و يعرفون ما فيه من نعوت النبي صلّي الله عليه و سلم ثم يكتمون الحق و هم يعلمون ،هذا .

و معني " أخرج شطأه " أخرج فراخه من إشطاء الزرع إذا فرخ . اي مثلهم في الإنتقال من كمال الضعف الي كمال القوة (٤٦٦) علي سبيل التدريج كمثل الزرع في

---

(٤٦٠) ش : لتذكر

(٤٦١) ف : زيادة تكريرها

(٤٦٢) الأصل : " بالمعروف " : ساقط

(٤٦٣) الأصل ، م ، ش ، س : " علي " : ساقط

(٤٦٤) الأصل ، م ، ف : ضرب الله

(٤٦٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٦١١٥/٩

(٤٦٦) م : التول

فراخه في بدء النمو . « فَآزَرَهُ » من الموازرة بمعني المعاونة ، او [٤٦٩] من الإيزار بمعني الإعانة ، اي قواه وأوصله بتهييج القوي النامية من مرتبة الضعف الي مرتبة القوة « فَاسْتَغْلَظَ » فانتقل من حد الرقة الي حد الغلظة « فَاسْتَوَي عَلَي سُوقِهِ » فاستقام لأجل غلظته علي قصته بعد ما كان يميل الي الأطراف لرقته . و الفاء في المواضع الثلاثة لترتب كل لاحق علي سابقه و تسبب عنه . « يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ » بسرعة تقلبه في أطوار[٤٧٠] ، النمو و تعاقب المراتب المتفاوتة في شدة و ضعف .

و قوله تعالي « لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارُ » إما علة لتشبيههم بالزرع في الزكاء و الإستحكام أو لقوله تعالي « وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » للبيان « مَغْفِرَةً وَ أجْراً عَظِيماً » إذ الكفار كلما سمعوا ما أعدّ للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشدّ غيظ فيتعذبون بذلك في الدنيا ، و لعذاب الآخرة أشدّ و أبقي . عن النبي صلّي الله عليه و سلم : " من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلّي الله عليه و سلم فتح مكة " [٤٧١] .

اللّهم افتح لنا أبواب رحمتك و أفض علينا من خزائن رأفتك و هيء لنا من أمرنا رشدا[٤٨٢] و لا تسلط علينا من لا يرحمنا ابدا يا أرحم الراحمين[٤٨٣] .

---

(٤٦٧) ف ، ش : و التدريج

(٤٦٨) ش ، س : الي أن أبلغ

(٤٦٩) ش : و من الإيزار

(٤٧٠) ف : في انوار ؛ ش ، س : في أطراف

(٤٧١) ابن حجر ، تخريج الحديث ، ١٩/٥ ؛ جلال الدين السيوطي ، اللآل المصنوعة ، ٢٢٧/١ ؛ خطيب الشربيني ، ٢٦٥/١

(٤٨٢) الكهف : ١٠/١٧

(٤٨٣) الأصل ، م ، ف ، س : " يا أرحم الراحمين " : ساقط

فهارس الكتاب

١. فهرس آيات سورة الفتح
٢. فهرس الآيات
٣. فهرس الأحاديث
٤. فهرس الأعلام